

من الشرق والغرب

عالمية

يد القاتل

the hands of orlac

٥٠ مليما

إهـــــــداء2006

الدكتورة / امانى عبد الرازق خاطر

الإسكندرية

روايات
عالمية

العدد رقم ٢٥٠



للكاتب الانجليزي

روبرت بليتمان

ترجمة أحمد عادل

- ١ -

كان ستيفن اورلاك يعزف على البيانو وهو لا يكاد يشعر بأصابعه .. كان يعزف احدى مقطوعات ليزت ـ الفانتازى .. وكانت هذه المقطوعة أثيرة مفضلة ، لا عند جمهور الحاضرين فحسب ، بل عند اورلاك أيضا .

كان أورلاك ينحنى على البيانو بجسمه الأسمر المفتول ، وملامحه الحساسة تتحفز فى انتظار ختام الجزء الذى يعزفه الاوركسترا ليهوى بأصابعه على البيانو . وكانت اصابع البيانو أمامه تتوهج بالضوء . لكنه لم ينظر اليها منذ جلس يعزف . كانت أصابعه تعرف ملمسها تماما مثلما تعرف ملمس جسده . كانت الألحان تستجيب له طيعة بفضل عبقريته وبفضل سنوات طويلة من المران الشاق على أيدى أساتذة أوربا العظام .

ومن المقاعد المكتظة الممتدة الى نهاية القاعة اكتسحته موجة من التصفيق الحاد . فقام وانحنى للجمهور أولا ثم لقائد الاوركسترا ثانيا ، والأصداء الاخيرة للحن تتبدد من ذهنه لتخطر على باله لويز ! .

لويز ! . لا شك أنها الآن فى البيت ، ولعلها تقف الآن أمام الدولاب فى غرفة النوم المطلة على أسطح باريس وعلى السين ، لعلها تنتقى الآن الملابس الملائمة التى سترتديها فى رحلتها بالسيارة الى مطار ليبورجيه .. انحنى مرة أخرى وضجت القاعة بتصفيق جديد كاد يصم أذنيه . فرفع يديه محييا ، واسترق النظر فى الوقت نفسه الى ساعة معصمه . ثم انحنى مرة ثالثة ، لكنه تحول هذه المرة ليركز انتباه الجمهور وتحيته على قائد الاوركسترا ـ ويمشتين ـ وعلى ذلك الرجل المشوق ـ عازف الكمان الاول . وبعد انحناءة ختامية أسرع وراء الستار وهو يحل رباط عنقه ويفكك أساور أكمامه .

وما لبث أن توقف وتحلقه عدد من الصحفيين أخذوا ينهالون عليه بالاسئلة ..

ـ يا مسيو اورلاك ..

حدثنا عن رحلتك فى الولايات المتحدة يا مستر أورلاك ؟..

ـ زواجك يا مستر اورلاك ! . هل يمكن أن تدلى الينا بتصريح بشأنه ؟ .

لم يستطع أورلاك أن يفكر فى شىء سوى الثوانى التى تمر محمومة .. سوى الحاجة الى أن يصل الى سيارته فى خلال خمس دقائق ليضمن ركوب الطائرة اذا أراد أن يلحق بلويز الليلة ..

وصاح به صوت :

ـ تعال من هنا يا ستيفن .. بسرعة .

وتحول نحو الصوت فلمح راس سيدلمان البيضاء تتحرك بين الكاميرات التى أشرعها مصورو الصحف .. كان سيدلمان متعهد حفلاته ، فأخذ أورلاك يتفحص وجهه الهادىء . الذى كانت ملامحه أصدق تعبير عن مدى نجاح الحفل من كتابات النقاد .

وقال سيدلمان :

ـ من هنا يا ستيفن ..

وتحرك الى الأمام بخفة وبلا تردد ، ليقوم بأكبر مهمة من مهام عمله . وهى مساعدة الفنانين على الهرب ، واحتجز المصورين وترك فراغا على الجانبين يستطيع أورلاك أن يخفض راسه ويمرق من أحدهما الى غرفة الملابس .

تقدم اورلاك بسرعة وهو يقول :

ـ أشكرك يا صديقى .. واستطاع أن يلتقط همسته فى اذنه وهو يمرق بجواره : لقد كنت عظيما يا ستيفن .. رائعا .

شكره مرة أخرى ووصل الى باب الغرفة .. فوضع يده على مقبضه ثم تحول الى الصحفيين الذين لاحت عليهم خيبة الأمل وقال :

ـ اننى آسف أيها السادة .. ربما نلتقى فى وقت آخر .. سيشرح لكم مسيو سيدلمان كل شىء .. ارجوك يا موريس ان تدلى اليهم ببيان ..

ـ بيان ؟ ! . بيان عن ماذا ..

فدفع أورلاك رأسه الى الوراء مزهوا .. انه لا يعبأ الليلة بشىء ..

ـ بيان عن اى شىء .. قل لهم لماذا انا الآن أبدو فى عجلة .. قل لهم .. أوه .. انك تستطيع أن تقولها بالانجليزية أفضل مما أستطيع ! .

وأدار المقبض وفتح الباب وانسل الى الداخل ، ثم أغلقه وأحكم مزلاجه . فى نفس الوقت الذى شرعت فيه الأيدى تقرع فى طلب الدخول ..

أخذ اورلاك يخلع ملابسه ويلقى بها هنا وهناك . رمى برباط عنقه فى ركن ثم ألقى بسترته على طرف مائدة : وهو يتخيل سيدلمان يلتقطها ويعنى بها بعد رحيله . فيطويها ثم يرسلها اليه فى باريس مشفوعة بعتاب رقيق . وابتسم اورلاك وهو يترك قميصه يهوى الى الارض ! . موريس .. يا له من شخصية رائعة .. اى صبر .. لكن .. اى حياة هذه لرجل مثله يفيض حيوية .. يضطر هكذا الى ان يدلل موسيقييه ويحتمل منهم نزواتهم وامزجتهم الحادة ..

وأكمل اورلاك ارتداء ملابسه .. ملابس خفيفة لا يضيق بها فى رحلته الى باريس خلال هذا الجو الحار من اغسطس .. ثم فتح الباب الى حجرة الملابس المجاورة .. وقال

ـ اننى آسف يا ريمشتين وارجو أن تعذرنى لأننى مضطر الى أن أمر بغرفتك من أجل الهرب ! .

ولم ينتظر ردا .. عبر الغرفة ومرق منها الى ممر . وتناهت اليه أصوات الصحفيين وهم ينهالون بأسئلتهم النارية على سيدلمان .. وتقدم ثلاث خطوات قادته الى باب خارجى .

ـ ها هو ذا ! .

وجد نفسه فجأة يواجه حشـــداً من الناس شرعوا يتقدمون صوبه ، فتلفت يمنة ويسرة نحثا عن سيارته بين عشرات السيارات الواقفة . واســـتطاع أن يلمح يد الســـائق تلـوح له من نافذة الســـيارة . واشرعت الأيدى نحـوه بعض دفـاتر التوقيـعات ـ الأوتوجرافات ـ فابتسم وهز رأسه قائلا :

ـ ليس الليلة .. أشكركم .. أشركم جميعا .. لكن مـرة اخرى .. سنلتقى فى مرات أخرى ..

وتراجع نحو سيارته وهو يكرر شكره لهم ويعدهم بأن يحضر فى العام القادم ويعزف لهم مقطوعة ليزت .

وانزلق اورلاك فى كرسيه بالسيارة وهتف لسائق أن يسرع به الى المطار .. فرد الاخير قائلا :

ـ لقد قال المستر سيدلمان يا سيدى انك حجزت فى طائرة الساعة الحادية عشرة . لكن لا تقلق . سنصل فى الوقت المناسب وتكون لدينا فسحة عشر دقائق أيضا .. استرح يا سيدى .. انك فى حاجة الى الراحة بعد ذلك العزف .

فتطلع اليه اورلاك مدهوشا :

ـ هل كنت هناك .. فى قاعة الموسيقى ؟ .

فهز السائق رأسه بالنفى .. ثم أشـــار الى جهاز الراديو وقـــال :

ـ لم ارك يا سيدى لكننى سمعتك .. لم يسبق أن سمعتك تعزف احسن من هذا .

أسرعت السيارة خارجة من لندن غربا صوب المطار . واغمض اورلاك عينيه . وتخيل السيارة الايطالية الصغيرة ولويز امام عجلة القيادة تسير بها فى شوارع باريس قادمة للقائه .. كان لا يكاد يصدق ان لحظة هذا اللقاء قد أوشكت ان تحين .

لقد اقتضى طلاقه من هيلجا أشهرا طويلة .. كانت البرقيات الباهظة التكاليف والمشحونة بالغضب لا تكاد تنقطـع بين مكتب محاميه فى لندن وبين مكتب محاميها فى المكسيك . ولم يكن ليصدق فى ذلك الوقت ان هذه الليلة ـ ليلة لقائه بلويز ـ وما سيعقبها

يمكن أن يتحقق . لم تكن هذه الليلة أكثر من صورة ساكنة تفتقر الى الحياة فى ذهنه . ثم فجأة دبت الحياة فى الصورة وتحركت شخوصها وشرعت تتسابق نحو بعضها البعض . ولم يبق على التقائها سوى ثلاث ساعات أو أقل ..

واهتزت السيارة على سطح أكثر خشونة من الطريق الناعم ثم توقفت فجأة ..

ـ لقد وصلنا يا مستر اورلاك ..

وهبط السائق مسرعا ليفتح له البـاب .. فأخرج حافظته وناوله بعض الاوراق المالية وهو يشكره .. ولا سيما على اعجابه بعزفه ..

وكانت سلطات المطار فى انتظاره لتسهل له اجراءات السفر . فلم يملك أن شكر سيدلمان فى قرارته على عنايته بأمره . وأقلعت الطائرة ـ ذات المقعدين ـ من الارض . ونظر عندئذ فى ساعته فألفاها الحادية عشرة بالضبط . وتطلع الى وجه قائد الطائرة بجوارد فلمح فيه معالم ثقة أدرك معها أنه سيصل أيضا فى الوقت المناسب . ولم يلبث أن وجد الطائرة تتجه عبر القنال .

لعل لويز الآن تعبر السين . وأضواء الطريق تشع على شعرها الاشقر .. ستتحول اليها الابصار وهى فى سيارتها ،وسيتسابق السائقون ليكونوا بجوارها عند اشارات المرور . وحتى البوليس سيحابيها وهى فى زحمة المرور . وعندما تصل الى المطار ستجد هوة تنفتح بأعجوبة أمام سيارتها وهى تقترب بها لتوقفها .

ـ ان الضباب ينعقد أمامنا كثيفا يا مستر أورلاك .

كانت هذه أول مرة يتحدث فيها قائد الطائرة ـ فيما عدا بعض عبارات التحية التى ابتدره بها ـ ولم يكن أورلاك قد لاحظ قبل ذلك انعقاد الضباب . الذى حجب وراءه أضواء المدن الفرنسية على الساحل .. فقال :

ـ اظن أن الضباب يكتنف ساحل البحر فقط . ولن يكون فى هذه الكثافة عندما نتوغل فوق العمران .. أليس كذلك ؟

فهز الطيار رأسه وقال :

ـ ان الضباب لا يقتصر على ما تراه أمامك فقط يا سيدى .. انا سنخوض فيه . ان مطار ليبورجيه يقول ان الضباب يتقدم ليكتنف منطقة باريس كلها . سنضطر الى أن نطير صوب ليون .

وهنا ضرب قلب أورلاك بشـدة . كان مشروعه كلـه وكل ما تخيله عن ليلته هذه يوشكان على الانهيار .. فصاح :

ـ هذا مستحيل .. يجب أن اهبط فى ليبورجيه .

ـ الضباب كثيف يا سيدى .. واعتقد أن الرؤية ستنعدم تماما عندما نصبح فوق المطار .

ـ اسمع .. لقد كنت طيارا فى خلال الحرب . واستطعت أن أهبط بطائرتى وسط ضباب اكثف من هذا .. اذا لم تكن تريد الهبوط فلا بأس .. استمر . ولكن اعطنى مظلة وسأنزل بنفسى . انه لأمر بالغ الحيوية أن أصل الى ليبورجيه .

كان أورلاك يتفحص ببصره ملامح الطيار وهو يتحدث اليه ، مطمئنا الى أن هذا التحدى الذى يظهر به رجل مثله فى الخامسة والثلاثين لا يمكن أن يلقى مقاومة فتى فى العشرين .. تردد الطيار ـ ذلك الفتى ـ هنيهة ثم هز كتفيه وابتسم قائلا :

ـ ان العميل دائما على صواب يا مستر اورلاك .. سنهبط .

وأخذ الطيار بعد ذلك يتحدث بسرعة فى جهازه متصلا بالمطار .. ومال بالطائرة وشرع يهبط بها وسط غلالة الضباب .. ثم انتزع سماعتيه وهو يقول :

ـ انهم يحذروننى من الهبوط .. ولكننى الآن لا أسمع شيئا .. كيف أعلم انهم يحذروننى وأنا لا أسمعهم ؟ ! . فلنستمع الى بعض الموسيقى بدلا من ذلك .

وأدار زر الراديو بجواره فانبعثت أنغـام موسيقية مذبذبة مشوهة ، لكنها غطت بعض الشيء على هدير محرك الطائرة . واخذا يهبطان .. وتلاشت الموسيقى لتفسح المجال لنشرة أخبار متقطعة ، وكان اورلاك يلقى اليها نصف وعيه : وسيتولى مجلس الأمن الآن بحث الاحتجاج الروسى .. اما هنا فى باريس الليلـة فسيساق المجرم المدان (فاسير) الى ...

وأغلق الطيار الراديو وانحنى على آلاته :

ـ استعد يا مستر أورلاك .. سنهبط هبوطا صعبا .. اننا ننزل الآن .. أعتقد ذلك .. يا الهى !

ورآه أورلاك عندئذ وقد تصلب فجأة .. فتطلع امامه ليجد مدرج المطار يقترب منهما بسرعة ، كأنما يندفع للقائهما .. وغطى وجهه بيديه فى الوقت الذى دفعه ظهر المقعد كالمطرقة ، ووجد أورلاك نفسه كأنما انقلب رأسا على عقب ، وأهوى على رأسه شيء بضربة اليمة . وامتدت يد مبللة لزجة الى عنقه . واكتشف أورلاك أنها يده . وكان يسمع صرخات ألم حادة متواصلة تتناهى اليه من بعد . وكان يعلم فى الوقت نفسه أنها صرخاته هو .

وشعر بنفسه يرتفع الى الامام ، وأحس ، وعيناه نصف مغمضتين ، بساقيه تتحركان ، وفيما عدا ذلك لم يع غير الألم ، وغير صوت يصيح من بعيد ..

ـ حريق ! ابعدوهما .. قبل أن تندلع النار ..

وامسكت به أيدى .. بكتفيه وركبتيه ، ورفعته ، وترك ذراعيه تسقطان الى جنبيه والم ممض بالغ يرتفع من يديه الى كتفيه . ودهم ذهنه يقين رهيب ، ولمحت عيناه فى وهج اللهب.. الدخان ،والطيار يرتكز متعثرا على ذراع أحد رجال الاسعاف ، ولويز تعدو اليه . وجاهد ليقوم بتجربة ، وليجمل ذهنه يلحظ نتائجها ، أخذ يحرك يديه .. يدرب اصابعه على الحركة ، وأمضه الألم فصرخ ينادى لويز .. لم يكن ثمة شك فى التجربة .. لقد تحركت الاصابع بسرعة وتأكيد ، لكن فى ذهنه فقط . أما يداه فقد أدركتا أن الاصابع لم تتحرك !

حاول جاهدا بما بقى فيه من قوة ان يحرك أصابعه .. أن يمرنها على الحركة ، ووجد نفسه يوضع على محفة ، ثم انحنى عليه أحدهم وعقد ذراعيه على صدره ، وجاهد ليرفع رأسه .. وتطلع الى طرفيه المشوهين ، انه لا يكاد يتعرف عليهما ، على أنهما جزء من جسمه ، وصرخ من جديد :

ـ لـــويز : ..

ـ ستيفن .. يا حبيبى .. حمداً لله أنك على قيد الحياة !

وقبلته وسط الدم والعرق والضجيج ، وأوشك أن يغيب عن الوعى . لكنه تذكر هيلجا ـ زوجته الأولى ـ وهى تضرب أصابع البيانو بعصا حديدية وتصرخ قائلة :

ـ اذا لم يشفك هـــذا من كابوسك الدائم .. فسأضرب فى المرة القادمة يديك .. لا البيانو !

ثم تذكر خوفه .. خوفه من الحفلات .. خوفه فى كل سورة غضب كانت تنتابها على الموسيقى .. خوفه فى كل مرة ينام فيها خشية أن يصحو فجأة على ضربات العصا الحديدية وهى تنهال على أصابعه فى جوف الليل !

هل هرب من هذا كله ليلقى نفس النهاية ؟..

ـ سق بأسرع ما تستطيع . لا . لا تذهب الى المستشفى . اذهب به الى عيادة البروفسور فولشيف ..

كان هـــذا صوت لويز .. لويز بلا شك .. جاءه بين أمواج الألم وراحة النسيان .. بين وعيه ولا وعيه .. بين وجوه هيلجا التى كانت تتوالى عليه وهى تصرخ وتسب .. كان ثمة وجه أبيض حقيقى تبدو فيه آثار الصدمة ..

ـ لـــويز ..

نادى باسمها وهو يحرك عينيه .. شاهد الاضواء تنثال من وراء النافذة .. وشعر بهزات السيارة فوق ارض الطريق .

ـ اصمد يا حبيبى .. كافح لتبقى صامداً ..

كان هذا صوت لويز مرة أخرى .. جاءه همســـا ، قريبا من أذنه ، فهز رأسه ، كان يشعر باختناق وجنان لا يستطيع معهما أن يتحدث .. لكنه جاهد بكل عضلة فيه لتنطق شفتاه بكلمتين :

ـ يـــداى ..!

انزلت لويز بصرها من صفحة وجهـــه الى ذراعيه ، وركبها الفزع بغتة فتصلبت ، ثم مدت يديها وامسكت به من كتفيه ..

ـ أواه يا ستيف .. يا الهى .. لم أكن أعلم .. يا حبيبى !

وتوقفت سيارة الاسعاف فجأة .. ودهمه الألم من جديد ينهشه من معصميه الى كتفيه ، ووقفت لويز وتحولت الى ظل وجل من رجال الاسعاف وسألته عن سبب التوقف .. فقال لها انه سيحاول أن يعرف .. وجاهد أورلاك مرة أخرى ليسمع الحوار التالى بين السائق وشخص خارج العربة :

ــ الا تفهم .. ان المريض مصاب بحروق جسيمة .. ان حالته تدعو الى العجلة ..

ــ آسف .. انها الأوامر .. ان طريق أراجو مغلق امام جميع السيارات ..

ــ لكن لماذا ؟ .

ــ لابعاد الناس بالطبع .. ثمة حكم بالاعدام يجرى تنفيذه فى سجن سانتيه .. انه فاسير المجرم الذى كان يخنق ضحاياه .. ان لدينا ستين رجلا يعملون معنا فى هذه المهمة .. يجب ان تعود بسيارتك وتسلك طريقا آخر ..

فسب السائق ولعن .. ثم عاد بالسيارة ليغير اتجاهها ..
وفتحت لويز الباب وصاحت :

ــ انتظر أيها الضابط . يجب أن تفهم الموقف . ان الشخص المصاب هو ستيفن اورلاك .. لاشك انك سمعت عنه .

كان الصوت لا يكاد يسمع :

ــ بالطبع يا سيدى .. لقد كنت أحضر حفلاته .

ــ ان يديه محترقتان حتى العظام .. يجب أن تجرى جراحة عاجلة له والا لن يعود الى العزف !

ــ كان بودى يا سيدتى .. لكن ..

كانت لويز عندئذ تنحنى خارج نافذة السيارة ، وهى تتوسل :

ــ الا تفهم ! يجب أن تدعنا نمر ..

ثم امسكت هنيهة وسمع أورلاك تنهدها . واستطردت تقول فى نبرة باردة لم يألفها من قبل :

ــ اذا كانت المشاعر الانسانية لاتقنعك .. فربما اقنعك المنطق .. هذا الوحش فاسير على وشك الموت . يداه لن تخنقا احدا بعد الآن . لكن يدى اورلاك يمكن انقاذهما !

بدأ اورلاك يقاوم غيبوبة جديدة . والقى نظـرة اخرى على ذراعيه وشاهد الاصابع المحترقة المتورمة . وشعر بهزة السيارة مرة اخرى . لا شك ان منطق لويز قد اعثر . سيموت الوحش . ولن تستطيع يدا الوحش بعد الآن ان ..

نبض الدم فى معصميه وهو يحاول جاهدا أن يحرك يديه من جديد . ان فيهما قوة ـ قوة قيدى فاسير القاتل .. حتى لو لم يتحركا الا بانقباض وانبساط .

ـ لويز ! .

أحس بشعر ذهبى يمس وجهه .. وكان ثمة منديل مبلل بالكولونيا يمسح العرق من عينيه وجبهته .

ـ لاتتحرك يا حبيبى .. لقد وصلنا الآن .

خف صوت محرك السيارة فأفاق لحظة .. لكنت مالبث أن شعر بنفسه ينزلق فى سحابات كبيرة .. ثمة موسيقى عنيفـة تصخب وتستنفد جهد عازفها . تتركه فارغا .. كفريق ملقى على الشاطىء .. وكانت ثمة كلمات تأتى اليه وسط الأنغام الصاخبة : سيموت فاسير .. ستحترق يداه .. ستحترق يداه !

ـ ٢ ـ

وجد ستيفن أورلاك نفسه يتطلع الى انحاء الغرفة من وضع غريب . كان يعتلى مائدة العمليات لكنه كان يشعر بأنه يسبح فوق جسمه ! الجسم جسمه ، مغطى الى العنق بملاءة بيضاء . ذراعاه ترقدان من فوقه تختفيان تحت قطع عريضة من الكتان الأبيض . والى جوار طبيب التخدير الذى كان مستعدا بجهازه ـ وقفت لويز تحادث رجلا ضخما يناهز الستين قد انتشر فى رأسه شعر أبيض مهوش . كانت لويز تقول له بالحاح :

ـ الآن وقد فحصته .. ماذا تعتقد ؟ هل ثمة ماتستطيع أن تقوم به ؟

ـ أقوم به ؟ ! ياسيدتى العزيزة . لقد اتصلوا بى تليفونيا من المطار . لم يكن امامى سوى نصف ساعة أستعد فيهـا . نصف

ساعة ليست بالوقت الطويل .. أليس كذلك ؟.. ثم أخذ يغمغم بكلمات لم يسمعها أورلاك . كان الأخير لايزال يشعر بأنه يسبح فوق جسمه . كان يحس الألم ولكنه كان بعيدا كأنما لم يعد ألمه .

وقطعت لويز على الطبيب غمغمته :

ــ أعتقد انك تعرف وصيى الدكتور كوشران يا بروفسور فولشيف .

قطب فولشيف جبينه :

ــ نعم .. نعم .. انه رجل طيب . طبيب نفسانى جيد . انه لايزال يعمل فى لندن .. أليس كذلك ؟.. لكن .. من أنت .. ومن المريض .. انه عازف على البيانو . لقد قيل لى ذلك .. ستيفن أورلاك .

ولحظ أورلاك من مكانه وجه لويز تبدو عليه الدهشة .

ــ ستيفن أورلاك ! لا شك انك تعرف ......

هذا الطبيب كتفيه الضخمتين :

ــ انه شهير ؟! .. لكن .. انني شهير ايضا !! ومع ذلك لا اظن أن مستر أورلاك قد سمع باسمى .. ان كلا منا خبير فى مجال يختلف عن مجال الآخر . والمرء لا يملك اذا أراد أن يكون خبيرا الا أن ينغمس فى مجاله ، لايعى شيئا عن العالم الخارجى . أنت .. أنت زوجته يا سيدتى .. ؟

ــ لا .. ليس بعد .

ــ اسمك ؟

ــ تايلور .. لويز تايلور . ان الدكتور كوشران يقول انك أعظم جراح فى العالم . وهذا هو الذى دفعنى الى احضار أورلاك اليك .

هز كتفيه مرة أخرى .

ــ سأفعل كل ما فى وسعى .. ومن الحق أن أقول أكثر من ذلك .

شاهد أورلاك توتر ملامح لويز وهى تنحنى على جسمه المسجى فوق مائدة العمليات ، ثم تستدير لتواجه فولشيف . وتذكر اللحظة التى لمح فيها هذه النظرة من قبل .. عندما توقف

فجأة أثناء عبارة كان يتحدث بها اليها بشأن احدى المسرحيات ليقول لها : احبك يا لويز .

حاول أن يغلق باب ذاكرته . ذاكرته لم تعد مجدية . الرجل الذى قال هذه الكلمات هو الآن كتلة ملطخة بالدم على مائدة العمليات ـ ليس ثمة مايتطلع اليه سوى الألم والفشل .

سمع لويز تترجم عندئذ خواطره :

ـ ان يدى ستيفن يا بروفسور فولشيف حيويتان بالنسبة اليه ـ تماما كما أن يديك حيويتان بالنسبة اليك . اننى اعرفه تمام المعرفة . لو عرف انه لن يستطيع العزف بعد الآن ، فلن يريد العيش بالمرة .

ـ العزف بعد الآن ؟ ! يا عزيزتى المس تايلور ، ان عملى يقتضينى ان اعد الانسان واكيفه لعصر الفضاء ..

فتدخلت لويز وقالت بهدوء :

ـ لقد قال لى وصيى ذات مرة انك تستطيع أن تأتى بالمعجزات .

فضحك فولشيف ضحكة قصيرة وتساءل

ـ هل فعل ذلك حقا ! .. انه لقول غير علمى بالمرة !

ـ اذن .. فليس ثمة .. ؟

تحرك فولشيف قرب مائدة العمليات وأعطى الاشارة لطبيب التخدير . واحس أورلاك بأنه لم يعد منفصلا عن جسده يسبح فوقه ، بل استقر فيه تماما ، وبات يستشعر الألم والخوف من جديد ـ ويرى الظل المنعكس من جسم الطبيب الضخم .

ـ ربما . ربما ثمة شىء . فلنقل انه عندما خلق الله أورلاك فقد صنع معجزة فى يديه . اننى أفتقر الى صنع الله .. ولكننى سأحاول أن أقوم بمعجزة اخرى .

ظل يتحدث ، لكن كلماته ضاعت . كان قناع الاثير قد غطى وجه أورلاك واستلب منه الواقع الى مكان سحيق .

لم يعد هناك معنى للوقت ، لم تعد له اهمية .. الا عندما بدأ من جديد يكافح ببطء وعذاب ليخرج من هاوية التخدير . كان يبدو انه ملقى فى فراغ يدفع بنفسه صاعدا ـ مستخدما

قدميه وكوعيه ـ فوق شيء ابيض بدا له ماثلا ـ وأخذت معالمه تتضح شيئا فشيئا .. ليجد في النهاية انه ملاءة فراش .

فتح عينيه على سعتيهما . وجد نفسه في ظل مصباح كهربائي مفطى ، تحجبه عنه صحيفة منشورة على بعد اقدام من فراشه . انزل بصره فوجد ساقين ترتديان جوربا أسود . ثمة امرأة تقرأ . تحركت الساقان فجأة وخشخشت الصحيفة .

أغمض اورلاك عينيه لحظة ـ قد حيرته غرابة الغرفة ، وغرابة وجود امرأة بجوارد وهو نائم . عادت اليه الذاكرة ببطء . لم يستطع في البداية أن يتذكر سوى لحظة صعوده الى الطائرة في المطار القائم خارج لندن . ثم أخذ يجاهد ليستعيد ماحدث منذ تلك اللحظة . استطاع أن يضيف الأحداث دقيقة بدقيقة حتى لحظة الارتطام .. والحريق ، وسيارة الاسعاف ، وحديث لويز مع البروفسور فولشيف .

فتح عينيه مرة أخرى . كانت الصحيفة منشورة ـ صفحتها الأمامية وخطوطها العريضة في مواجهته . ثمة خط غليظ نقسم الصحيفة من منتصفها . رأى اسمه ، بحروف مكبرة على رأس عمود

يدا أورلاك تكفان عن العزف ! .

حسنا . هذا صحيح . تطلع الى أسفل . الى صورة يديه تعزفان على البيانو . ثم خطر له أن يجرب لمس أطرافه . لكنه لم يستطع . لم يكن وعيه يمتد الى أكثر من كوعيه . وفيما عدا ذلك لاشيء . ركبه الفزع وتلاحقت انفاسه وأخذ يبحث محموما عن شيء يطرد عنه فكرة بقائه بغير اطراف ' وأخذت عيناه تجولان بيأس في أنحاء الغرفة . ثم لمحتا فجأة عنوانا عريضا في الصحيفة المنشـورة

فاسير القاتل يوفى عقوبته !

وتحت العنوان كانت هناك صورة اكبر . صورة فاسير مكبلا بالأغلال ومعه حارسان يحاولا نكبحه وهو ينحني الى الأمام ـ وجهه مملوء بالخوف والحقد ويداه مرفوعتان كأنما يهدد أحدا .

لم يستطع أورلاك أن يمنع نفسه . ورفع رأسه وكتفيه من فوق الوسادة بصعوبة ، وحدق فى العنوانين بدا له أن الكلمات والصورتين قد اختلطت .

شعر بالعرق يتدفق من جبهته .. اليس ثمة شيء آخر فى العالم غير الأيدى ؟ ! حرك ذراعه اليسرى بجهد عظيم ، وجذبها ببطء من تحت الغطاء ، الى أن رأى الجبيرة فيما وراء الكوع . لم يستطع أن يحركها أكثر من ذلك . لكنه استعان بقدميه لجذب الملاءة الى أسفل ، ومن ثم انكشفت يده . اذ بها كمخلب ضخم أبيض ـ ملتو كذلك الذى يبدو فى الصورة . عاد ببصره مفزوعا الى الصحيفة .. الى يدى فاسير المرفوعتين . ثم صرخ !

ظلت أصداء الصرخة تتردد داخله بعد الحقنة التى أشعرته بالارتياح ، وحتى بعد المشاورات والغمغمات التى تناقلها أشخاص بدوا كالظلال عند مربض قدميه . ثمة نهار الآن . لم يعد المصباح مضاء . ثمة ضوء أسطع من ضوء المصباح ـ وبما يكون ضوء الشمس ، وثمة سائل يتدفق بين شفتيه ـ يجرى فى زوره مجرى الماء فى أرض بلقع . وعاد ينزلق فى الظلام من جديد .. ثمة طريق غاص بأجهزة البيانو ، وثمة طريق آخر معقم قد تناثرت فيه أشكال آدمية ملتوية .. كأنما أعناقها ...

أدرك الأمر فجأة .. حاول الهرب . لم يكن من سبيل أمامه الا أن يمضى قدما . الأشكال نهضت وأخذت تحجل راقصة على أنغام بيانو .. بيانه الخاص يعزف بلمس يديه !

صحا والعرق يغرقه . كان الليل قد حل من جديد . نفس المرضة على مقعدها الى جوار فراشه .

طلب ماء . وضعت المرضة كتابا وابتسمت له . صبت له الماء فى كوب من اناء على مائدة بجوار فراشه .

ـ انت أحسن حالا يا سيدى .. اليس كذلك ؟ .

ارتشف الماء قبل أن يرد :

ـ احسن .. أحسن على نحو يجعلنى مستعدا للقائهم عندما يأتون !

ـ عنـدما .. ؟

كانت الممرضة تتطلع اليه باستغراب .

ـ لا بأس . لا داعى للتظاهر . اشكرك على الماء .

أغمض عينيه . وعنـدما استيقظ شعر بانه فى حال طيب .. حتى انه دهش لانه وجد نفسه فى فراش آخر . كانت الشمس تلقى اشعتها على الملاءة ، وعلى الحائط ، تضىء صورة بجوار الباب على نحو جعل الماء فى جدول بها يتلألأ كأنما يسرى حقيقة وواقعا .

ـ هاللو ستيفن .

حول رأسه . وجد شفتى لويز على مسافة بوصة من شفتيه .. دار ببصره فى وجهها ـ لمس به نعومة خديها وطراوتهما ـ وعيناها تتفحصان عينيه . مالت نحـوه حتى مست شفتاها شفتيه . ثم امتدت يداها الى وجهه تأخذانه فى راحتيها ، ثم تمران على ملامحه بلطف .. وعبثت أطراف أصابعها فى شعره خلف رأسه . والصقت لخدها بخده .. فأحس لأول مرة أن ذقنه طويل !

حذرها من ذقنه . وسمع صوتها يهمس رقيقا فى اذنه :

ـ ماذا يهم .. ان لك رائحة أيضا يا حبيبى .. يفوح منك العرق ، والآلم ، والمرض .. لكنك أنت ما زلت كيانا واحدا .. رائعا عظيما !

كانت قوية ورقيقة فى آن واحد . أعادت له قوته . فتح رئتيه وأخـذ نفسا عميقا حتى استقامت كتفاه . ذهبت حرارة أيام الهذيان ودب فيه لأول مرة دفء الصحة المتزايد .. قبل طرف أذنها .. ثم شرع يمس بشفتيه شعرها الناعم الرقيق .

ـ ستيفن !

ـ نعم يالويز .. يالويز الناعمة ، الدافئة ، الفياحة الشذا !

ـ أسرع واستعد صحتك .. اننى أعرف أن هذا هو مايقوله الناس عادة . وانه لايعنى شيئا . لكن الأمر هنا يختلف . اننى اطلب ذلك .. لأسباب شخصية .. اسباب أنانية !

سحب شفتيه ومال الى الخلف يتطلع اليها . كانت تضحك لكن فى صمت . ضحك الارتياح ـ الذى يتخلل ويكتسح كل

التوتر والارهاق . الآن فقط يعرف معنى الظلال السوداء التى كانت سمة لياليه ـ ليالى السهد وغيوبة الوعى . قبلها واشتعلت فى قلبه الرغبة . لمس لسانه صف اسنانها . وعبثت أصابعها فى مؤخرة عنقه . ثم سحبت لويز شفتيها فجأة :

ـ أن يديك لم تفقدا قوتهما باستيفن . هل تسمح بتخفيف هذا التطويق قليلا . ان الجبيرة توشك أن تحفر ظهرى !

- ٣ -

لم يستطع ـ وهو يجلس الى البيانو ـ ان يبعد عن مخيلته ذكرى هيلجا ـ رغم أنه كان الآن فى مسكن لويز ، وهيلجا على بعد ألفى ميل ـ أو ربما خمسة أو عشرة آلاف ميل ، فى أحضان رجلها الهولندى ، أو حتى من خلفه بين ذراعيها ! بل أن هـذا قد يكون خليفة خليفته . فالحياة تتحرك بسرعة بالنسبة لهيلجا .

كانت يداه الموضوعتان على اصابع البيانو هما اللتن اعادتا اليه الذكرى . حتى عندما كان يخلع قفازيه بحذر ، فتظهر ندوبه ، كان ثمة ألم خفيف يحسه .. يشبه الألم الذى كان يخشاه وذلك التهديد المخيف من هيلجا مصلت عليه .

رفع يديه يتفحصهما . لم يكن للندوب شكل معين . لكنها لم تكن تتداخل فى حرية الحركة . بسط يديه وحاول أن يمرن اصابعه على الحركة واحدا واحدا . تحركت على مضض ، لكنها كانت ترفض أن يستقل كل منها بحركته عن الآخر . الصقها ببعضها وحاول أن يحركها زوجين زوجين .. ثم توقف وقلب يديه وقد قطب جبينه يتفحص صفحتيهما .

سمع الباب الخارجى يفتح ، فنهض من مكانه . وداخله شعور لايدرى سببه ولا مبعثه بالذنب . فعبر الغرفة مسرعا والتقط مجلة ـ فى نفس الوقت الذى دخلت فيه لويز . وضعت حزمة من اللفائف ثم قبلته .

ـ آسفة ياحبيبى .. لقد تمطلت فى زحمة المرور .

وجد ورلاك نفسه يحاول أن يقف بينها وبين البيانو .

- هلَ كنت تتمرنَ على العزق ؟
- كلا
قال ذلك وهو يتحول عنها ، فاستطردت !
- لقد كنت آملُ ..
- كنت سأتمرن .. لكننى لسبب مالم استطع
وأخذ يتطلع الى يديه ، وهو يمضى قائلا :
- كنت سأتمرن .. لكننى لم استطع عنـدما حان الوقت ..
السبب يداى . أحس أنهما لاينتميان الى .
وجلس . بينما ركعت على ركبتيها بجوار مقعده واخذت يديه فىَ راحتيها :

- لقد قال البروفسور فولشيف أن المسألة ستستفرق وقتا
- نعم .. نعم .. أعرف ذلك
- ماذا بك يا حبيبى ؟
تجنب أورلاك نظرتها وهو يقول مسرعا : لاشىء . كان يشعـر بأنهما على حافة أزمة يحاول تأجيلها . هز رأسه وجاهد ليبتسم :
- لا شىء .
- اننى لا ابغى الا مساعدتك .. انت تعلم ذلك ؟
صاح وهو على وشك الفضب :
- قلت لك لا شىء .. لا شىء بالمرة .
طفى الألم على وجه لويز . وتمنى أن يخفف عنهـا ، لكنه لم يستطع . وقفت وسارت الى النافذة . واخذت تحدق الى الطريق .
- ستيفن ..
- نعم ..

- أعلم أنك مررت بتجربة قاسية . لـكن يجب أن تحـاولَ نسيانها . لقد انتهت . وانت الآن على مايرام
- هل انا كذلك حقا ؟
لم يعد ثمة سبيل لتجنب الأزمة . أصبحت أمامهما مباشرة ، وكأنهما يستبقان اليها فى سيارة أفلت زمامها .
- لقد كانت الجراحة ناجحة .. البروفسور فولشَيف قال ذلك بنفسه .

أمسكت هنيهة ثم استطردت وفى نبراتها يلوح التوتر :
ــ لابد ان تبدأ حياتك مرة اخرى ، ان عاجلا أو آجلا ، من حيث خلفتهــا .
ــ ماذا تعنين ؟
احمر وجهها .
ــ أصغ الى يا ستيفن . منــذ ستة أشهر كان من المقرر أن نتزوج . كنا .. كنت أنا .. فى لهفة على الزواج . ثم حــدث ذلك الشيء الفظيع . وربما غيرك ذلك . لكننى عندما جئت لمقابلتك أول مرة ، لم يبد أن الحادث قد غير منك شيئا . ثم .. منذ ذلك .. لقد تغير كل شيء ! اننى لم اتغير يا ستيفن .. ولكننى بشر !

ثم توقفت مرة اخرى وتحولت بوجهها اليه ــ ولمعت الدموع فى عينها واردفت :
ــ اننى بشر ضعيف ! كان لى رجل يشتهينى . كان هذا هو ما أريد .. انه أمر بسيط .. اليس كذلك ؟ لقد رويت لك حياتى من قبل . لم يكن ثمة أحد فى حياتى .. وعنــدما تقابلنا تغير كل شيء .. أردت أن أنال كل ماحرمت منه . أردت حيل ، وأردت أن .. تشتهينى . لم يكن عليك فى هذه الاشهر الستة سوى أن تطلب ــ بنظرات لا حتى بكلمات ــ كنا يتزوج فورا ــ لم تكن لننتظر .. لكنك تغيرت .
ــ هل تعتقدين ذلك ؟
حاول أورلاك ان يتحدث بسرعة ليغير الحديث الى موضــوع أسلم من هذا . لكن لويز لم تتح له الفرصة . نظرت بدورها من النافذة وشرعت تتحدث بسرعة :
ــ لا أدرى . كل ما أريد قوله هو اننى لم أتغير . لكن اذا كنت أنت تغيرت ، فعليك أن تخبرنى بذلك . انك لاتزال حرا . لن أحاول منعك ، أو الشجار معك ، أو أى شيء من هذا .. اننى أعدك بذلك !

كان يستطيع أن يلمح وجهها من حيث جلس ، والألم الذى تحاول أن تخفيه . وما لبث أن نهض وعبر الغرفــة وقبض عــلى ذراعيها بشدة وجذبها اليه . شعر بجسمها يهتز وهى تحــاول السيطرة على أدمعها . وهمس اليها .

ـ يجب الا تفكرى فى ذلك يا حبيبتى . يجب أن تفهمى . ان ثمة شيئا فى لم يتغير ـ هو حبى لك . هذا الشيء لن يتغير . اننا سنتزوج قريبا . قريبا جدا .

تملكته الرغبة التى حاول مقاومتها ستة اشهر . وحولت اليه وجهها ولمعت عيناها بالغبطة والارتياح . وتمتم :

ـ قريبا جدا .. جدا

وخلصت لويز نفسها بلطف من بين ذراعيه .. كانت السعادة ترقص فى عينيها . مسحت الدموع عن خديها وحكت ذراعيها حيث كان قد وضع قبضتيه وقالت :

ـ لم أكن أعلم انك بهذه القوة يا ستيفن ستظل هناك علامة زرقاء مكان قبضتك لمدة شهر ! .

ذهل اورلاك . وتطلع اليها بعينين مفتوحتين :

ـ هل آلمتك ؟

ـ لقد كان الأمر يستحق ! .. لقد استمعت حقا ؟

لكن كانت هناك نبرة خبث فى صوتها .. تلك النبرة التى كانت تلوح فيه مرارة وتؤدى الى اثارته . لم يستطع أن يتخلص من ضيق داخله . فأشرع يديه أمامه وحدق فيهما . وغمغم :

ـ كذلك هما .. لقد استمتعا بدورهما !

ـ لا تتمتم هكذا يا حبيبى . اننى لا اسمعك . ماذا تقول ؟

لم يلتفت أورلاك اليها . مضى يحدق فى يديه .. حتى ادرك أن لويز تحدق فيه بدورها متلهفة .

ـ ألست على مايرام يا ستيفن ؟

حاول ان يرد لكن الكلمات لم تطاوعه .

ـ ستيفن !

تحركت صوبه . جاهد ليحرك لسانه :

ـ آسف يا حبيبتى . انه مجرد صداع .

ـ يامسكين .. يا أعز مخلوق لدى . استلق فترة ودعنى ..

لم تتم عبارتها . أمسكت بيده . وقف أورلاك وهو يشعر بدوار . ثم سحب اصابعه عندما لمستها أصابعها . ودلى ذراعيه الى جنبيه . وغمغم

ـ اظن انه يجب ان اعود الى البيت .. اذا سمحت .
ـ بالطبع .. لك ماتشاء .
كان وجهها تبدو عليه الحيرة والقلق .. لكنه لم يستطع أن يفعل شيئا ليخفف عنها . ماذا يمكن أن يقول . انه نفسه لا يعرف الجواب .
ـ اشكرك .
ـ تعال اذن . ان السيارة فى الخارج . سأعود بك .
ـ لاتسيئى فهمى يا حبيبتى .. لكننى أودان أسير على قدمى .
ـ حسنا اذن .
سبقته الى الباب . أحنى راسه وتبعها . داعبت ذقنه وقبلت طرف انفه وقالت :
ـ لايمكن أن أدعى اننى افهم شيئا يا ستيفن . لكن مهما كان الأمر ـ مهما كانت متاعبك .. دعنى اكافحها معك
ثم اردفت وهى تغلق الباب وراءه :
ـ سأمر عليك فيما بعد لاطمئن .

انطلق اورلاك بسرعة . قد كور قبضتيه فى جيبيه . لم يدر اين تقوده قدماه .. فيما عدا مرة واحدة ، اطلقت السيارات فيها ابواقها المحمومة فقفز فزعا الى بر الامان ــ اذ كان يعبر طريقا مزدحما .. عبر النهر واتخذ طريقه بين جموع احاطت بأسوار الكتب ــ دون أن يشعر بوجودها . وتوقف برهة وتناول شرابا ثم مضى .. بعيدا عن الشوارع العريضة والأبنية الطويلة : الى الشوارع الجانبية والاسواق . ولم يلتفت أخيرا الا لموسيقى تصدر من أرغن . وجد قدميه تسيران على وقع الأنغام ـ تقودانه الى مصدرها .
راى اطفالا يلهون على احصنة خشبية دوارة .. وثمة سيارات صغيرة تكاد تصطدم ببعضها البعض .. وأمكنه لامكان التصويب بالبنادق ، والاقواس . وحجرة لقراءة المستقبل ابتسم لمرآها بمرارة .
ثم توقف .
وجد امامه لافتة تقول : اختبر قوتك . وبجوارها وقف حشد

صغير يحيطون بآلة ذات قبضتين وقرص عليه أرقام من صفر الى مائة . وكان ثمة رجل يصيح فى الجمهور ، قد عرى صدره الى خصره ليبرز عضلات ذراعيه وكتفيه ، وهو يعلو بصوته داعيا الناس الى اختيار قوتهم . من يتعدى الخمسين على القرص ـ يفوز بجائزة . وكان الرجل يهتف بالناس مستحثا اياهم أن يظهروا للسيدات معدنهم !

حرك أورلاك رموشه كأنما يصحو من غيبوبة . لم يدر كيف جاء الى هذا المكان .

ـ انت .. انت يامن هناك .. انت يا من ترتدى قفازات سوداء .. تعال . اظهر لهم قوتك . لاتكن خجولا . تعال جرب !

سار أورلاك صوبه بطريقة آلية . وضع بعض العملات الصغيرة فى يد الرجل . ثم أمسك بأصابعه القبضين وشرع يشدد قبضتيه .

وتطلع الى ابرة المؤشر ، المثبتة فى القرص . وجدها تنتقل الى عشرين ، ثم الى ثلاثين وأربعين وعندما وصلت الى خمسين سطع ضوء فوقها . وعند ستين سطع ضوء آخر وسمع أورلاك صياح الاعجاب من الجمهور خلفه .

ـ أحسنت يا سيد .. والآن . اى جائزة تريد ؟

لم يكن اورلاك يسمعه .. كان لا يزال يشدد قبضته . ويرى الضوء يسطع عند سبعين وثمانين وتسعين .

وفجأة ، ولدهشة الجمهور ، وصلت الابرة الى مائة وانبعث صوت جرس كهربائى جعل مزيدا من الناس يهرولون الى المكان .

ـ حسنا أيها السوبرمان . دع الآلة .. هل تريد أن تحطمها ؟

كان الرجل يمسك معصميه ، يحاول أن يخفف قبضتيه . لكن أورلاك استمر مشددا .. ترك الابرة عند المائة والجرس يدق لمدة نصف دقيقة ، قبل أن يرخى يديه .

وصاح احدهم :

ـ هلم .. اعطه جائزته .. جائزة جميلة !

تطلع الرجل الى أورلاك

ـ ماذا تريد .. هل تريد افلاس ؟! .. حسنا . خذ ماتشاء . التقط شيئا من هذا

وأشار له على الجوائز الكبرى

لكن اولارك هز راسه وبدأ يتحول مبتعـدا . ففاجأه نفس الصوت السابق يصيح

ـ هلم يا سيد .. خذ شيئا . لاتدع له الجائزة . لقد كسبتها بطريقة عادلة .

التقط له الرجل عروسة كبيرة ودفعها بين ذراعيه . فقال أورلاك .

ـ انني .. انني لا أريدها .

لكن الرجل اخذ يتطلع الى الجمهور بقلق

ـ الأفضل أن تأخذها .. ان الجمهور يبدو اليوم شـديدا متحفزا .

ثم توسل اليه :

ـ اذا لم تأخذها .. فان هذا الرجل .. هذا الذى يصيح . سيخلق لى المتاعب .. وربما يأتى بجمهور يحطم بضاعتى .

هز أورلاك كتفيه

ـ أشكرك ياسيد .

تحول الرجل وهو يحرك عضلات ذراعيه الى الجمهور .

ـ ها هو ذا .. لقد كسب عروسة جميلة لصديقته . افضل ماعندى . كلفتنى ثروة . والآن تعالوا .. من سيكون الفائز الثانى بجائزة جميلة .. اننى أبعثر هذه الجوائز .. أوزعهـا .. لفرط خيبتى !

تحرك أورلاك بعيدا وهو يقبض بشدة على عروسته . افسح له الجمهور ليمر عاد الى الطريق لكنه شعر بنظرات غريبه تتطلع بها نساء الملاهى اليه . فأشار الى تاكسى وانزلق فى مقعده . نظـر فى ساعته فألفى انه مرت ساعتان منذ بارح مسكن لويز ساعتان لم يفعـل فيها عقله شيئـا الا العمليات الآلية التى يحتاج اليها للسير عبر باريس . كان يشعر كأن جدارا قد قام بداخله . يحول بينه وبين ذلك الجانب اليقظ النشيط من عقله . وضع يديه على عينيه .. لابد أن يكون هناك مفتاح يفتح هذا الحاجز .. كلمة أو عبارة . شيء يرى أو يلمس أو يذاق أو يشم .

سمع السائق يناديه . فأنزل يديه عن عينيه . كان السائق قد تحول اليه ومد له يده مطالبا بالنقود . وكانت السيارة واقفة .

نزل متعبا . وعبث فى حافظته ليخرج النقود .ثم صعد الدرج الى باب مسكنه الامامى .

وفى الداخل ، القى بالعروسة فوق مكتب وخلع سترته ودخل بها حجرة النوم . وارتدى (روبا) كانت الحجرات تبدو وكأنها انكمشت . وكان يشعر بحاجة الى رفع الجدران الى الوراء ، كأنما يعانى من حصار الأماكن المغلقة ، فى مصعد وقف بين الأدوار .

لاحظ أن يديه تهتزان وهو يصب لنفسه قدحا من الويسكى . ووقف عند رف المدفأة ينظر عبر الغرفة الى (بيانه)القديم . وتذكر الأكاذيب التى ساقها للويز ـ انه ينفق ساعتين كل يوم فى التمرين ، ليعود الى يديه سابق قدرتهما .

عبر الغرفة ، واستخدم منديله فىنفض الغبار عنغطاء البيانو . وجرع الويسكى ثم جلس ورفع الغطاء . وتدفق العرق فجأة من كل مسامه . كل عضلة فيه حاولت أن تتراجع . لكنه أرغم يديه على مس أصابع البيانو فانبعث نغم مختلط . ومر بأصابعه يعزف لحنا عسيرا كان قد اعتاد منذ اعوام أن يتمرس به استعدادا لكل حفل . لكن النغم كان نشازا فتوقف وقطب جبينه وهو يتطلع الى يده اليمنى ..

قام من مكانه فجأة وصفق الغطاء على البيانو . وهرول فى مشيه عدوا الى حجرة نومه ففتح دولابا وجذب درجا مليئا بالقفازات . التقط زوجا ودس يديه فيهما . كانا ضيقين فاضطر الى أن يدفع بكل اصبع فى مكانه منهما . لكن .. لابأس . هذا شيء متوقع . فقد حذره مدلكه .. الذى كان يزوره يوميا خلال اشهر النقاهة من أن يديه قد تستغرقان وقتا طويلا قبل أن تعودا الى سابق عهدهما .

خلع القفازين وعاد الى الصالون . فوق رف المدفأة كان ثمة لوحة تمثل بعض زوارق الصين الاسبانية . نحاها عن الجدار وفتح خزانة خلفها .. وعبثت يده فى كومة من الأوراق سندات وبوالص

تأمين ووثائق قانونية . الخ .. ثم التقط من آخر الخزانة صندوقا من صناديق الحلى الخشبية القديمة . وعبث فيه بدوره وأخرج خاتما ..

جلس والخاتم فى يده اليمنى . ثم رفـع يده اليسرى ودس الخاتم فى اصبعها الوسطى . دخل الخاتم من طرف اصبعه . عبر الظفر ولكنه انحشر عند العظمة فى منتصف الاصبع ! .

انتزعه اورلاك وقذفه بعيدا .كان الآن يرتعدكمن انتابته حمى. أخذ ينظر بهلع من صندوق الحلى الى الخزانة ، ومن الخزانة الى صندوق الحلى ، ثم الى المكتب . ووقف ساكتا فى مواجهة المكتب وآخذ يحاول السيطرة على تنفسه وعلى ارتعاش جسده . ثم جلس من جديد . وأخرج ورقة وقلما ووقع باسمه . كان نفس توقيعه الذى خطه على عشرات من الشيكات فى خلال الأشهر القليلة الماضية .

لم يكن حتى الآن قد توقف ليفحص توقيعه بالتفصيل . كان يعتقد أن عمل المدلك كفيل بأن يعيده الى طبيعته . لكنه الآن التقط بوليصة تأمين من الأرض وهو مقطب الجبين . وفتحها ووضـع التوقيعين احدهما بجوار الآخر .

كانت زجاجـة الويسكى على بعـد قدم واحدة منه . وصب لنفسه شيئا منها ، وجرعه على الفور .. كانت يداه ترتعدان من جديد . وضع الكأس والتقط سماعة التليفون ، بينما نزع بيـده الأخرى يقلب صفحات الدليل . ثم ادار القرص . وكانت ادارته غير محكمة . فاضطر الى ان يفعل ذلك مرتين .

ـ هالو .. هل هذه عيادة البروفسور فولشيف .. هل يمكن أن اتحدث اليه ؟

ـ آسفه .. لكن هذا متعذر ..

ـ لكن الأمر مهم .. من يتحدث ؟

ـ أنا مساعدته ..

كان الصـوت منخفضـا جدا ، فلم يتبين أورلاك الا الآن أن محدثته سيده .

ـ .. أن البروفسور فولشيف ليس هنا . انه فى موسـكو يشهد مؤتمرا بالغ الأهمية بشأن الأبحاث الطبية للسفر فى الفضاء .

شعر أورلاك بالعرق يغزوه من جديد .
ـ أوه .. يا الهى .. ومتى يعود ؟
ـ لن يعود قبل بضعة أسابيع . من المتحدث ؟
ـ أنا ستيفن أورلاك .
ـ آه .. بالطبع يا مسيو اورلاك .. انني اسفة اذ خيبت أملك .. لكن البروفسور الآن مشغول جدا كما تعلم . انهم يجرون فى روسيا ابحاثا على مقاومة الجسم للحرارة المتطرفة ، وذلك لصناعة كبسولة فضاء جديدة تصلح للآدميين . لاشك أنك قرات عنها فى الصحف . والبروفسور فولشيف يلزم وجوده هناك لهذا الغرض . لكننى أؤكد لك .. انه سيعود قريبا .. وانت ...
ـ أنا ؟
ـ أنت مسرور ولا شك بيديك الجديدتين ! لابد أنك كذلك . ان حالتك كانت من أعظم انتصارات البروفسور فولشيف . أنا شخصيا سأكون فى انتظار الاعلانات عن حفلتك القادمة .. هالو .. هالو .. هل تسمعنى يامسيو أورلاك ..

كان أورلاك يمسك بالسماعة عندئذ بعيدا عن اذنه . ثم وضعها فى مكانها . وجلس يحدق فيها برهة .. وبجوارها على المكتب كانت العروسة تبتسم له .

وفجأة ـ ولفزع اورلاك .. لمح يديه تمتدان الى العروسة وتقبضان عليها .. واذ بأطراف اصابعه تضغطان على الجسد .. حتى تناثرت بعض قطع منه على الأرض .. وأخذت اليدان ببطء تلويان العروسة .. حتى انفصل راسها عن جسدها .

ـ ٤ ـ

دق جرس الباب فجأة ، فهب مفزوعا على قدميه . وبصره ينتقل بسرعة من النافذة الى الباب ، كمجرم وقع فى الفخ .

دق الجرس مرة اخرى . فنظر بفزع واشمئزاز الى العروسة التى تقطعت أطرافها . ثم جمع أطرافها وراسها بسرعة والقى بها فى سلة المهملات . وتدفق من جسم العروسة سيل من نشارة الخشب ، فألقى فى السلة مابقى من العروسة أيضا وحاول أن

يدفع بقدمه النشارة تحت المكتب . ولما يئس من ذلك تناول سجادة صغيرة من وسط الغرفة وغطاها . ثم مسح يديه في جانبي الروب - دون وعي - كأنما يمسح عنهما آثار دماء .

ومد يده الى مقبض الباب ، وفي راسه دوار .

- ستيفن !

- لويز !

انفجر الاسم من شفتيه . ومال على زجاج الباب مستنداً . وهتف :

- بربك ساعديني يالويز .. ساعديني ..

وشعر بركبتيه تتخلخلان من تحته . ثم شعر بذراعي لويز حول كتفيه - تقودانه الى مقعد .. كان صوتها يبلغه أول الأمر ضعيفا ، ثم اتضح وباتت معالمه - فنفخ فيه شيئا من قوة وارادة .

- اجل يا حبيبي .. هذا ماجئت من اجله . انا هنا لأساعدك . جئت لأساعدك .. انك تعرف وصيي - عمي فرانسس - انه يقول ان في مقدورنا أن نستخدم فيللته لأي وقت نشاء ..

واجلسته في مقعده واستطردت :

- انك ستأتي - اليس كذلك ؟

تخيل أورلاك منظر الريف ، والزهور ، وضوء الشمس يسطع . لكن ذهنه كان يفكر أكثر في الهرب من هذا الشيء الرابض في سلة المهملات - الذي بدا كبيرا حتى انه ظن من المستحيل أن يخطئه بصر لويز .

- نعم .. نعم . سآتي ..

- الشمس هناك وافرة .. الأكل كثير .. والعمل .. لاشيء . وهذا هو ماتحتاجه بالضبط ..

كان راسه في صدرها الدافيء عندما اردفت

- .. الى جانبي .. بالطبع .

دس راسه أكثر في صدرها وغمغم وشذاها في انفه .

- أنت على الأخص !

ضحكت لويز ..

- هذا افضل .. لايزال هناك أمل امامك .. وامامي !

ثم استطردت بسرعة
ــ هلم .. انهض على قدميك .. أرنى الآن ماذا ستأخذ معك ..
جذب نفسه الى اعلى . نهض وعبث بأصابعه فى شعره
ــ اعتقد اننى الآن على مايرام .
ثم حدق فى عينيها واردف :

ــ لست ادرى كيف يحدث هذا . كل شىء يبدو على مايرام ؟
ثم فجأة .. لويز .. أريد أن أصارحك القول ..
اذا تخليت عنى .. فاننى سأدرك موقفك .. انك صغيرة ..
ولو كنت ثريا فان فرق عشر سنين بين عمرينا لن يهم . لكن
الوضع الآن ..
نهرته عن الكلام ولمعت عيناها .

ــ كفى يا ستيفن .. يا أعز مخلوق لدىَّ .. تعال لتساعدنى
فىَّ حزم حقائبك .. لا تتصور أن فى مقدورك التخلص منى بهذه
السهولة . لماذا تظن اننى تجشمت مشقة استعارة هذه الفيللا من
عمى .. أليس من أجل أن يختلى أحدنا بالآخر .. أليس من أجل
أن نتزوج ؟ !

تطلع أورلاك اليها . وشعر بأن حبه لها يكتسح أمامه ساعات
الفزع التى عاشها اخيرا ..
ــ والآن ارنى الأشياء التى ستخدمها .. ثم اذهب واستعد
للرحيـــل .
.. دخل أورلاك الحمام ، وبعد ربع ساعة ، فتح الباب . فتطلع
مدهوشا .
ــ ستيفن !
لم يكن يرى أحدا .. كانت لويز فى الخارج لكن صوتها كان
رقيقا دافئا ..
ــ ماذا ياحبيبتى .. هل هناك شىء لاتجدينه ؟
ــ لا .. ليس الأمر كذلك . لقد انتهيت من حزم حقائبك ..
أريد فقط أن أتحدث اليك
ــ اذن .. تعالى !

ـ هل تسمح ؟ .. أعدك بانني لن ...
فتحت البـاب عندئذ أكثر قليلا .. لكن صوتها كان ينم عن الخجل .. فخفف لمساعدتها بقوله :
ـ لا بأس اذا كنت ستدخلين أن تدعكى لى ظهرى !

كان غائصا فى البانيو الممتلىء بالماء والصابون . فأخذت الفرشاة وشرعت تمر بها على ظهره ، بينما كانت قد سكتت تماما واحمر وجهها خجلا . وزاد ذلك من حبه لها .
ـ فيم كنت تريدين الحديث ؟
ـ لا .. لا شىء بوجه خاص .
ثم حولت وجهها ودفعت خصلة الشعر التى كانت قد سقطت على جبهتها .
ـ اردت فقط ان اطمئنك الى المكان الذى سنذهب اليـه . أن فيه حجرات ارضية مريحة .. وحديقة ذات أعراش عالية .

.. مضت بهما السيارة جنوب باريس . كانت لويز تتـولى القيادة . وكان هو يجلس محاولا ان يسترخى وسـط اللفائف الكثيرة . طلبت منه ان يشعل لها سيجارة . ففعل . ودسهـا بين شفتيها ثم اشعل لنفسه واحدة .
اخذ يترنم بنغم ـ ثم أخذا يتبادلان الترنم .. الى أن صـاح بها فجأة :
ـ حذار .. سيموت كلانا .. لو لم تكونى حذرة !
قال ذلك وأمسك عجلة القيادة واعاد السيارة الى الطـريق الطبيعى بعد ان كانت منحرفة نحو حافة العشب . وتساءل ليخفف من وقع عبارته .
ـ ماهذا اللحن الذى كنا نترنم به
ـ شتراوس .. انت اعلم بذلك منى
ـ ثمة شىء لايروقنى فى موسيقى الفالس يا لويز
ـ لا تحبها ؟ .
ـ اننى احتقرها ..
كان وقع انغام الفالس يذكره بهيلجا .. وفكرتها القريبة القائلة بأن الرواج من عازف بيانو معناه . فصر مع صفوة المجتمع فى قعات

فينا ، وتناول الشمبانيا مع الكونتيسات ـ وتبادل الانخاب مع الدوقات . لكن هذا الزواج كان يعنى في الواقع اسفارا لا نهاية لها .. في قطر سيئة التدفئة ، ووجبات معجلة ، وشراب قليل ، ورحلات طول الليل بالسيارة الى بقاع نائية .

كان هذا الزواج يعنى أيضا قدرة على تحمل مهنة لا تعرف الكلل لحظة واحدة ، مهنة تتطلب انفاق الكثير ، من الوقت ، والجهد ، والصبر .

ـ .. انني أفكر في الماضي . لكنني لن أفكر فيه كثيرا بعد اليوم

ـ لا تزال ذكراه تؤلمك ؟

ـ بعض الشيء . المرأة لم تعد تهمني . ربما كل مابقى مجرد كبرياء مجروحة ، وأسف على سنين مضيعة . كذلك ثمة شيء لايستطيع المرء ان يغفله .

ـ وما ذاك ؟

ـ المقارنة .. هذا .. هذا كله ضوء الشمس . أما ماسبق ذلك ، فكان الرعد !

شعر بيدها تمس يده على المقعد .

ـ حذار .. السائق الذي يقود بيد واحدة قصير الحياة ! .. هات عنك .. انه دوري . لقد اتفقنا على تبادل القيادة كل مائة كيلو متر .

كسبت وجهها سحابة من الهم

ـ هل تريد ذلك حقا ؟ لا تظن انك مضطر الى ذلك ، اذا لم تشعر أن في استطاعتك ..

تبسم لها . وجذب انفاسا من الهواء الدافيء في رئتيه . لم يعد أورلاك الذي كان يرتعد ويتفصد عرقا . صار الآن مختلفا . يسري الدم في عروقه نابضا بالغبطة .. لأن لويز بجواره يسافر بعيدا عن كل ماعرفه من اماكن ـ الى حياة أخرى في مكان جديد .. لا تكتنفه أشباح .

ـ أوقفي السيارة يا حبيبتي .

اطاعته واوقفتها الى جانب الطريق . ونزل ودار حول السيارة. وقبل ان يفتح الباب قبلها على قمة جبينها ثم هتف :

ـ هالو !

ـ هالو ..

ـ هل تذهبين فى اتجاه الجنوب يا آنسة .. اننى ـ اننى أود أن أركب معك .. هل تسمحين بتوصيلى الى وجهتى .. أغرقت فى الضحك ..

ـ لا ادرى حقا ان كان ذلك ممكنا . هل أكون فى مأمن معك ؟ لقد سمعت روايات رهيبة عن فتيات سمحن لغرباء بالركوب فى سياراتهن !

فتح الباب وقال بصرامة .. ليتقن دوره :

ـ تحركى قليلا .. والزمى الصمت اذا كنت تعرفين مصلحتك

ثم فتر فجأة عن المضى فى دوره وبسط ذراعيه خلف رأسه. وكان ضوء الشمس على وجهه

ـ أوه .. هذا بديع .. باريس وراءنا و ..

ـ وغداء بارد غير مستساغ أمامنا اذا لم تتحرك !

انزل أورلاك ذراعيه ورفع حاجبيه :

ـ هكذا النساء ! انهن يناقرننى من الآن ! .. ان لتلك الأيام التى ..

وتوقف وادار محرك السيارة ، فانبعث هديره . وخاض بها منتصف الطريق وهو يشير الى علامة أمامه قائلا :

ـ مونت كارلو ياآنسة .. انها على بعد تسعة كيلو مترات فقط .. ليلة حظ واحدة فيها تأتى بثروة !

لكنها أشارت له بيدها فلم ينحرف فى المنعطف ومضى قدما على الكورنيش .. وفجأة وجد أمامه قافلة من الغجر تعبر الطريق.. اطلق اورلاك بوق السيارة . وتبادل أفراد القافلة الحديث بسرعة ثم تنحوا له عن الطريق ـ ومرقت السيارة على بعد بوصات منهم .

ـ هل سنقابل المزيد من هؤلاء على هذا الطريق ؟ .

هزت لويز رأسها

ـ كلا .. انظر . هذا هو الباب .. أمامك الى اليسار .

أوقف أورلاك السيارة . ومكث لحظة ينظر الى الفيللا . كانت منخفضة بيضاء الجدران ـ وثمة نباتات متسلقة مزدهرة تمتد الى السطح

ـ هل أعجبتك ؟

أومأ برأسه .. ثم قفز خارجا ودار حول السيارة ليفتح لها الباب . وعندما خرجت وقفا معا جنبا الى جنب ، يتطلعان الى الفيللا . ثم صاحت لويز .

ـ أنجى !

وشاهد أورلاك رجلا طاعنا فى السن يخرج اليهما من جانب الفيللا ، ويمد ذراعيه . بينما كانت لويز قد جرت نحوه والتقت يدها بيده . وتصافحا .

ـ مدموازيل لويز .. يسعدنى أن أراك ثانية .. وأنت فى أحسن حال .

وكيف حالك أنت ؟

ـ أوه .. اننى مشغول . مشغول جدا . ان الدكتور لم يخطرنى بقدومك فى الوقت المناسب . ومع ذلك فقد بذلت كل مافى وسعى . أن البيت نظيف على الأقل .

ـ اننى واثقة من ذلك يا أنجى . انه دائما نظيف مادام فى عهدتك .. أقدم لك مسيو أورلاك .

ـ السيد الذى كان مريضا ؟ لقد ابلغنى الدكتور كوشران شيئا قليلا عنه .. القليل الذى يمكن فى الواقع قوله فى برقية !

صافح يد اورلاك الممتدة وهزها واردف قائلا :

ـ ان المرء يستطيع أن يستدل من ملامحك يا سيدى على انك عانيت الكثير .

تبسم له أورلاك وقال :

ـ لكننى أشعر أننى احسن حالا اليوم ـ لابد أنه هذا الهواء !

وتطلع عبر الفيللا الى الحديقة وأردف .

ـ هذا يشبه الجنة يا أنجى !

فقبع العجوز ، ورفع اولى الحقائب .

ـ أوه .. ان الجو على ما يرام اليوم .. لكنه خداع ـ انتظر حتى تهب ريح الشمال .

غمزت لويز لأورلاك . فتناول يدها الممدودة وسار بجوارها الى البيت ـ وفى أعقابهما انجى يحمل حقيبتين وهو يغمغم متأففا .

كان الباب الأمامي مفتوحا . وشاهد أورلاك قاعة بيضاء الجدران كانت رطبة رغم حرارة الجو فى الخارج .. وكان الديكور مغربيا وثمة سجاجيد زاهية الألوان على الارض . وقبو فى طرف القاعة يقود الى فناء ازدهرت فيه النباتات حول بئر .

قادته لويز الى حجرة واسعة ، لها نوافذ كثيرة تؤدى الى شرفة وزرقة البحر تمتد الى مرمى البصر وكان ثمة بيانو ضخم قرب النوافذ ..

ـ انه يعمل يا سيدى ..

كان ذلك صوت أنجى فاجأه من جواره .

ـ لقد جاء رجل خصيصا من مونت كارلو ليصلحه .

مر أورلاك باصابعه على أصابع البيانو . فهتف انجى :

ـ نعم ياسيدى كان .. مثل هذا ..بل أسوأ من هذا !

فقالت لويز بسرعة لتغير مجرى الحديث ..

ـ تعال من هنا لأريك غرف النوم

وتقدم أنجى عبر الغرفة وفتح بابا من ثلاثة أبواب وأفسح لهما الطريق ليمرا ، وقال :

ـ لقد أمر الدكتور بأن نعد غرفة نومه الخاصة لمسيو اورلاك

فتح أورلاك فمه مدهوشا وهو يدخل الغرفة . كان دائما يشعر بان حجرات النوم غريبة . وكان يكره هذه الغرابة ـ فيما عدا غرابة حجرته ـ الا ان هذه الغرفة التى دخلها الآن لم يشعر أبدا بأن ثمة شيئا غريبا فيها . كانت غرفة رجل .. ليس فى أثاثها شيء من رقة وان كانت بعض قطعه مختارة بعناية .. لكنها كانت بالطبع غرفة الدكتور كوشران .

وضع أنجى حقيبتيه وقال :

ـ اما غرفة الآنسة فهى غرفتها القديمة المواجهة لهذه .. ثم استأذن فى الذهاب لاحضار بقية المتاع .

سار أورلاك الى النافذة ونظر منها الى الحديقة .

ـ هل أعجبتك يا حبيبى ؟

كانت لويز قد انسلت الى جواره دون ان يلحظهـا . فمس ذراعهـا :

ـ أرى انك أنت وعمك قد صرتما تدللانى ..

ـ لا أنكر أن هذه هي الفكرة العامة !

ـ انني لا أستحق كل هذا ..

ـ لا أعتقد ذلك .

لمسها فاستدارت نحوه . فأخذها بين ذراعيه وقبلها قبلة شعر معها بالرضا والاطمئنان .

كان في موقف يتخيل معه انه سيشعر بذلك الفزع الرهيب الذى دهمه فجأة .. عندما تطلع الى الجدار من فوق كتف لويز . كانت هناك صورة محفورة فى برواز تمثل لويس السادس عشر ـ المقصلة من ورائه تحيط بها سحب مدلهمة دكناء .

ـ ماذا حدث يا حبيبى ؟

كانت لويز قد فتحت عينيها وأخذت تنظر بقلق .

انزل أورلاك ذراعيه الى جنبيه :

ـ لا شيء .. لا شيء على الاطلاق ياحبيبتى .. فلنذهب قليلا الى الشرفة قبل أن يحل الظلام

ـ أجل .. بالطبع .

كان صوتها لا يزال فيه الشك والتوجس .

وكانت الشمس قد اختفت خلف غلالات من السحب شمت بالضوء . وفى الأفق لاحت أضواء مونت كارلو . كان المنظر رائعـا أذهل اورلاك . وكان الصمت مطبقا فاستندت لويز على ذراعـه وأراحت رأسها على كتفه .

وهمس ـ كأنه يخشى وقع صوته على السكون من حوله

ـ لم يسبق ان لمست مثل هذا الهدوء . كأننى فـوق سحابة لا يستطيع ان يصل اليها شيء .. اشكرك يا لويز على احضارى الى هذا المكان .

قال ذلك ووضع ذراعه حول خصرها ..

ـ مدموازيل لويز !

رفعت راسها وتحركت شبرا بعيدا . بينما كان انجى يتقدم وهو يحمل قطة فارسية كبيرة زرقاء .

ـ نعم يا أنجى ..

ـ ثمة من جاء لتحيتك ..

ـ ميشو ! .

صاحت لويز باسم القط .. فقفز على يديها الممدودتين ؟ وجعل يلعق يدها ..

ـ ميشو .. هل اوحشتك ؟ ! . منذ متى .. منذ متى لم ترنى ؟ . لا أدرى .. منذ اشهر كثيرة .. متى كانت آخر مرة يا ميشو ؟ ! .

تبسمت لاورلاك ثم هتفت :

ـ اليس بجميل ؟ .

ـ بالتأكيد .. يا لعينيه الذكيتين .. كأنه يعرف شيئا .

ـ انه يعرف ! . اليس كذلك يا ميشو ؟ . اذهب وحى السيد العزيز .. ستصبحان عما قريب صديقين ..

وأنزلت القط ، فرفع ذيله وجعل يتمسح بساقيها .

ـ ادعه يا ستيفن .. انه ودود .. سيذهب اليك ..

جلس أورلاك القرفصاء وربت على ركبته .

ـ ميشو .. تعال .. تعال نتعارف ..

تحرك القط نحوه بتؤدة .. واذ هو يتقدم مد أورلاك يديه ليلتقطه ..

لكن ميشو توقف فجأة .. ثم قوس ظهره وأظهر أسنانه .. حاول اورلاك أن يقبض عليه بكلتا يديه .. لكنه نفر وتحول عنه ، ثم عدا عبر الشرفة . وصاحت لويز فى أثره وهى مدهوشة .

ـ ميشو .. لا تكن وقحا تعال هنا حالا ..

لكنه كان قد اختفى عن الانظار ..

نهض اورلاك وتحول عن لويز ليخفى وجهه : ثمة شىء كدر السكون .. كدر غروب الشمس وأضواء مونت كارلو المرتعشة .

اختفى كل ذلك خلف مشهد آخر .. مشهد عروسة أو بقايا عروسة ممزقة .

ـ ارجو الا يحزنك هذا يا حبيبى .. اننى آسفة .. لست ادرى ماذا دها ميشو .

ـ يبدو أنه لا يحبنى ..

وجاءهما صوت أنجى قرب النافذة المفتوحة :

ـ انه أمر غريب .. ان ميشو يصادق الأغراب عامة .

ثم صمت هنيهة واردف :

ـ حسنا .. سيكون العشاء جاهزا خلال لحظات .

وأضاف محدثا لويز :

ـ هل تود الآنسة أن نبدأ فى تفريغ الحقائب ؟

وجد أورلاك نفسه وحيدا فى الشرفة .. وما لبث أن تحول ليذهب الى غرفته . وعندئذ لمح ميشو ينظر اليه من آخر الشرفة وهو لا يزال مقوس الظهر .

ناداه آملا أن يستجيب لندائه .. وأخفى يديه خلف ظهره بغير وعى . لكن القط لمعت عيناه فى الضوء الخابى ، ثم اختفى .

دخل أورلاك غرفته ووقف أمام المرآة .. أشرع يديه وأخذ يتطلع اليهما . ولاحظ الصورة المعلقة على الجدار بطرف عينيه . فهرول عبر الغرفة وانتزعها ، وجعل يدور بحثا عن مكان ليضعها فيه .. وما لبث أن ألقى بها خلف دولاب صغير .

ـ ٥ ـ

صحا أورلاك بعد ليلة مسهدة تقطع خلالها نومه . ظل راقدا لحظات ، يصعب عليه أن يتخيل تلاحق الاحداث التى ادت به الى هذه الغرفة ذات النوافذ الضخمة ، المطلة على حديقة تتغلغل فى أشجارها الأغصان .

وأرهف أورلاك أذنيه فسمع زمجرة الريح التى أخذت تهب بشدة حول البيت . فيما عدا ذلك كان السكون شاملا . نظر فى ساعته وهو يتساءل هل يحسن به أن يحاول النوم من جديد .

وما لبث أن جلس فى فراشه ، ونحى الأغطية بعيداً ، ودلى ساقيه ، وارتدى روبا ثم ذهب الى الحمام . وبينما كان يحلق ملأ البانيو بالماء ، ثم غاص فيه .. الى أن سمع وقع خطوات تمر أمام الباب ..

جفف جسمه بالمنشفة بسرعة ، وعاد الى غرفته وارتدى ملابسه . وسمع اصوات لويز وانجى فى الفناء .. ثم سمع نقرها على بابه ..

ـ ادخلى يا حبيبتى ..

كانت لويز ـ من حيث يراها جالسا فى مقعده ـ أكثر جاذبية من اى وقت مضى . كان ضوء الشمس قد لون خديها وهى تتقدم صوبه مادة ذراعيها . كانت ترتدى ملابس الكيمونو الحريرية وتبدو رائعة .. مست بيديها جبينه وداعبت رأسه . وسألته عن نومه كيف كان . فتمنى الا تلحظ الظلال السود تحت عينيه ، وغطى بيده منفضة السجائر المكتظة بالأعقاب ، وزعم لها أنه نام نوما طيبا ..

ـ هذا حسن .. انك تبدو أحسن حالا ..

رأى اورلاك عينيها تطرفان وهى تطلق هذه الكذبة المريحة ، ثم وجد نفس العينين تتركزان على الجدار الذى كانت آثار الصورة المخلوعة تبدو عليه .. فقال بسرعة قبل أن تفاجئه بسؤالها

ـ لقد انزلتها .. انها لم تكن مثبتة جيدا فى مكانها .. خشيت أن تقع اثناء الليل وتوقظ الجميع .

لمح سحابة من القلق تغزو وجه لويز .

ـ وأين هى .. سأطلب من أنجى ان يثبتها فى مكانها بعد تناول الافطار .

ـ كلا .. اعنى .. لا تزعجى نفسك .. سأتولى تثبيتها بنفسى فيما بعد .

ومن خلال الباب المفتوح .. انبعثت صيحة مفاجئة من انجى .. تحولت لويز وقفز أورلاك على قدميه ..

ـ مدموازيل .. مدموازيل لويز .. تعالى بسرعة ! .

هرعا الى الباب المؤدى الى الصالون . كان انجى يقف بجوار البيانو .. قد تصلب جسمه ويداه على وجهه ، يغطى عينيه .. وكانت النوافذ وراءه مفتوحة . والستائر تتقاذفها الريح . هرولت لويز صوبه ..

ـ ماذا هناك يا أنجى ؟ . ماذا حدث ؟ .

حرك انجى يديه ببطء عن عينيه . كان وجهه ممتقعا والدموع تجرى على خديه . أشار بيد مرتعشة .. فى الشرفة يا مدموازيل .. انظرى بنفسك ! .

دخلت لويز الشرفة وانجى فى أعقابها .. وتبعهما أورلاك ، لا يدرى لماذا انقبضت معدته فجأة .. اشار انجى مرة اخرى .. بينما جثت لويز على ركبتيها بجوار ميشو وقد انبعثت منها صيحة رعب .. كانت جثة ميشو ممددة .. العينـان تحملقان والراس مطوحة واللسان بارزا من الأسنان .

صاحت لويز تنادى على القط صيحة الم ورثاء :

ـ ميشو المسكين .. لقد مات ! .

اقترب أورلاك .. وهو يستند الى سياج الشرفة .. ويدرك فى الوقت نفسه مدى قوة ذراعيه من قبضته على السياج ، ومدى الضعف الذى انتاب معدته ، كتقلص مفاجىء .

اخذ انجى يتحدث فى همس :

ـ لم يأت ميشو الى عندما دعوته هذا الصباح .. فذهبت ابحث عنه .. وجدته هنا ، خارج نافذة المسيو أورلاك .. ممددا باردا . لا شك انه مات فى الليل ..

شعر أورلاك ببصر الرجل مصوبا عليه .. حاول ان يتجنبه .

ـ ألم تسمع شيئا يا سيدى ؟ .

هز أورلاك راسه :

ـ كلا .. كلا .. لم أسمع شيئا .

فصاحت لويز :

ـ لكن من الذى فعل به هذا ؟. أتظنه فأرا كبيرا ؟!.

تطلع اورلاك الى انجى ، فى الوقت الذى تحـول فيه الأخير ببصره واخذ يحملق فى الأفق البعيد وهو يقول :
ـ كلا يا آنسة ... الفأر الكبير ليست له أيد . انه لا يستطيع أن يخنق ! .
ـ هل تعنى أن أحدا دخل هذه الشرفة وقتله ؟ ! ..
شعر اورلاك بقلبه يتألم لمنظر الحزن والاشمئزاز فى وجه لويز وهى تتساءل :
ـ لكن لماذا ؟ .. لماذا يقتلونه ؟ ! ..
ـ حقا لماذا يا آنسة ؟ .. يا ميشو المسكين . انه لم يؤذ أحدا على الاطلاق ...
ثم امسك ورفع بصره الى السحب التى كانت تمر من فوقهم كثيفة :
ـ لكن ريح الشمال ريح غريبة .. عندما تهب يمكن أن يحدث أى شىء ! ..
ـ ريح الشمال ؟ ..
ـ انها ريح تنذر بالشر يا آنسة .. انها تدفع الضعفاء الى القفز من قمم الصخور ، وتجعل النساء العجائز يفرطن فى تعاطى الأقراص المنومة ! . انها الريح التى تكتنف المشرحة . كالشيطان يلهب بأنفاسه عنق المرء . انها يمكن أن تؤثر تأثيرا غريبا على أعصاب الانسان ، بل ربما تدفعه أيضا الى القتل ! ..
تصلب أورلاك ، وبدأ يداخله شعور بأن كلام انجى موجه اليه ، وان كان قد تحول بوجهه الى لويز ...
قامت لويز اخيرا وهى تتساءل بحرقة :
ـ لكن من يا انجى .. من يمكن أن يكون قد ارتكب هذا الحادث ؟ ..
ـ لا أدرى يا آنسة ..
قالها بنبرة من يحاول الا يكون له دخل فى شىء ... ثم خلع سترته وانحنى على الارض ولف فيها جثة القط .. ثم استطرد :

- كان هناك بعض الفجر فى المنطقة ليلة امس يحاولون ترصد الفرص للسرقة ، لكننى طردتهم بعيدا .

وقام وهو يحمل لفافته وأردف دون ان تلوح فى صوته لهجة الاقتناع :

- ربما كان واحدا من هؤلاء الفجر ..

فتحمست لويز :

- اجل .. بالطبع .. لابد ان يكون الامر كذلك .. سأذهب وأبلغ البوليس تليفونيا .

- لا شك أن الفجر قد رحلوا يا آنسة ..

- لكن البوليس يستطيع ان يوقفهم ..

واتجهت لويز صوب الصالون ، لكن انجى قطع عليها الطريق بحزمته :

- يا مدموازيل ..

- نعم يا انجى ..

- لا تبلغى البوليس .. انه ليس فى مقدورنا أن نثبت شيئا - لن نجنى سوى الحرج .. ثم .. من يدرى .. وربما الذى ارتكب الحادث ليس من الفجر ! .

قال ذلك واتجه خارجا .. ولمح أورلاك شبه انحناءة منه وهو يمر امامه الى نهاية الشرفة ..

أخذت لويز تتطلع الى الضباب الذى تحمله الريح الندية من البحر .. ثم قالت :

- اعتقد انه على صواب ..

وخنقتها العبرات .. فتحركت بسرعة الى ذراعى اورلاك ودفنت وجهها فى صدره . وظل هو يحدق عبر الشرفة . لا يرى هياكل الاشجار والضباب يكتنف اغصانها كالقطن المندوف . بل يرى عروسة صغيرة ممزقة . وجثة قط .

تناولا افطارهما فى صمت .. كان اورلاك لا يستطيع أن يسيغ طعاما ، لكنه اكره نفسه على تناوله ليقنع لويز ان فنجان القهوة الوحيد الذى شربته لا يكفى لتبدأ به نهارها ..

تطلعت اليه ، من فوق حافة الفنجان ، والتعاسة تبدو في نظرتها :

ـ انني آسفة يا حبيبي .. ليست المسألة انني كنت مغرمة بميشو فحسب . لكن ثمة شيء فظيع يحيط بحادثه ... شيء وحشي لا مبرر له ..

لم يكن في هذه اللحظة يستطيع أن يعود الى الخوض في هذا الموضوع .. لم يستطع الا أن يتمتم بكلمات التعاطف ليخفف عنها .. خيل اليه انه عاد الى سجنه الأول .. الى ذلك الجدار الذي يحجب عن عقله كل تفكير منطقي ..

ـ أظن انك تريدين أن تنتهي من افراغ الحقائب .

هزت راسها علامة الايجاب .

ـ ساتريض قليلا الى أن تنتهي من ذلك .. ثم اردف معجلا :

ـ احب أن القي نظرة على الحديقة .. ان .. الرجل .. ربما ترك بعض آثار !

اغتصبت ابتسامة ومست يده مسة خاطفة .. فاطمأن الى انها لم تلحظ تلك الهزة غير الارادية التي اعترت يده وهو يسحبها .

اتجه الى الخارج .. كانت الريح رطبة ، تئن في سطح الفيللا ، والاشجار والزهور العالية تتمايل من وطأتها . لم يكن ثمة احد . فظن أن الحديقة خالية .. الى أن كاد يصطدم بأنجي في ركن قد توارى خلف اعراش عالية .

ـ آسف .. انني لم ارك يا أنجي .

رفع العجوز بصره لحظة .. ثم دس جاروفه في الارض دون كلمة .. كان قد خط مستطيلا صغيرا على الارض ـ ثلاثة اقدام في قدمين ـ وشرع يحفره . وكانت الارض صلبة لا تلين بسهولة ، وثمة عرق على جبهته ، وكان الجاروف يتحرك ببطء في يده .. وانفاسه تتلاحق مسموعة .

ـ عمل شاق .. أليس كذلك ؟ .

ـ أجل يا سيدي ..

نطق بها وهو يشهق ..

ـ دعني أساعدك ..

فدس أنجي الجاروف في الارض بقوة ، لكنه لم يتغلغل اكثر من بوصة .. وقال :

ـ يجب الا تتعب نفسك يا سيدي .. فقد كنت مريضا .

الا أن أورلاك تناول منه الجاروف وهو نافد الصبر ، وهتف :

ـ هراء .. انني قوي كالـ ..

لاحظ أورلاك عيني العجوز مثبتين على وجهه . لم يستطع أن يواجه هذا التحديق . فحول بصره عنه .. ليجد فيما وراءه صندوقا صغيرا .. قد صنع صناعة فجة من الواح خشبية ثبت بعضها الى بعض . كان هذا هو تابوت ميشو .

اندفع اورلاك يدس الجاروف بحمية . ثم رفعه مملوءا بتراب الارض . وظل نحو دقيقتين يعمل بهمة ، وكومة التراب بجوار الحفرة تعلو وتتضاعف . وكان كلما رفع عينيـــه عن الارض لمح تابوت القط يملأ بصره .

وعندما توقف كان العرق يجري خيوطا على صدره وظهره . فصاح :

ـ ياله من نهار حار ! .

ـ كان يجب على السيد أن يرتدي قبعة . ان الشمس هنا كالريح . يمكن أن تكون خطرة ! .

تطلع أورلاك الى أعلى . كانت الشمس محتجبة .. فألقى بالجاروف على الارض وتمطى . شعر بقلبه ينبض بشدة ، وهو يرسل الدم يهدر غاضبا في عروقه .. على طول ذراعيه الى يديه اللتين كان يرفع بهما الجاروف ممتلئا بالتراب دون جهد يذكر .

واجه أنجي .. وابتدره قائلا :

ـ ماذا تقصد بالضبط ؟ .

اتسعت حدقتا العجوز :

ـ أنا .. يا سيدي ؟ .

ـ نعم انت .. ليس ثمـة من أتحـدث اليه غيرك .. أريد

جوابا .. اريد أن اعرف بالضبط ماذا تقصد من وراء كل هذه الاشارات والتلميحات .

وقف أنجى خافض الرأس .. وقفة اجلال واحترام .. لكنه قال :

ـ لست اقصد شيئا .. اننى فقط تواق مثل الآنسة الى أن يستعيد السيد صحته فى أسرع وقت .

ثم انحنى ورفع التابوت ودلاه فى القبر الصغير .

ـ أشكرك يا سيدى على معاونتك .. لو استطاع ميشو أن يشكرك ، لفعل أيضا :

ـ أنت تعتقد اننى قتلته .. أليس كذلك ؟ .

انفجر اورلاك بعبارته . وادرك أن صوته قد أخذ يعلو فى عصبية ..

تراجع انجى ، شأن المهزوم .. وقال فى تردد :

ـ سيدى .. لم أقل ابدا ..

ـ كلا .. ولكننى لمست الطريقة التى ما فتئت تنظر بها الى .. وكل هذه العبارات الخبيثة التى تشير بها من طرف خفى .

كان يشعر عندئذ بيديه تنقبضان وتنبسطان الى جانبيه .. ثم صاح فى غضب :

ـ هل هذا ما تعتقد اذن ؟. لماذا لا تفصح عنه .. لماذا لا تقوله ؟ ! .

فلزم العجوز الصمت .. وعندئذ مد أورلاك ذراعيه وأمسك به من سترته ، وجعل يهزه هزا عنيفا حتى سقطت قبعته . وتعثر فى طرف القبر .. واصطدم حذاؤه بألواح التابوت فاخترمها . واستمر أورلاك يصيح :

ـ هيا اذن .. قل .. عليك اللعنة .. مم تخشى .. هل تظن أننى سأقتلك انت أيضا ؟ ! .

وفجأة .. وخلال حمى الغضب التى انتابته ، سمع صيحة مفزوعة من لويز تهتف باسمه :

ـ ستيفن .. ستيفن .. هلَ جننت ؟ ! .

توقف وارخى يديه عن الرجل .. فجثا الاخير على ركبتيه . والزبد يجرى من طرف فمه . وتحول أورلاك ـ وفى راسه دوار ـ الى لويز التى كانت تعدو نحوه .. ثم أخفى وجهه فى راحتيه .. وأخذ ينتحب وهو يردد :

ـ أنجى .. أنجى .. اننى آسف .. اننى ...

تم مضى متعثرا بعد أن كشف وجهه .. بعيدا عن لويز .. لكنه ما لبث أن تبين أن الأعراش العالية التى تحيط بهذا الركن ليس لها سوى منفذ واحد . فتحول من جديد ـ كحيوان مطارد ـ وتطلعت اليه لويز ، ثم ساعدت العجوز على النهوض .

ـ هل أنت على ما يرام ؟ .

اومأ لها الرجل بالايجاب .. لكن بجهد واضح . فتحول بصرها تلقائيا الى التابوت الذى تحطم أعلاه .. وكان فراء القط يبدو من فرجات الواحه المهشمة .. فهتفت :

ـ يا الهى .. ماذا حدث .. فيم كنتما تتشاجران أنت والمسيو أورلاك ؟ .

هز انجى كتفيه .. وسكنت ملامحه فلم تعبر عن شيء :

ـ لا أدرى يا آنسة .. ربما .. سوء تفاهم .

ثم تطلع فجأة الى حيث كان يقف أورلاك .. نظره فى عينيه .. وقال

ـ اذهبى وراءه ! . انه رجل مريض يا آنسة .. مريض جداً .

ما كاد أورلاك يسمع هذه العبارة .. حتى تقدم دون وعى وتجاوزهما من منفذ الأعراش .. وكانت ساقاه تتحركان فى غير انتظام ، كساقى عروسة تتحرك بخيوط . لكنه شد الخطى سريعا الى الدرج الحجرى ، الذى يؤدى الى الشرفة . وأوشك أن يكون فى أعلاه عندما سمع خطوات لويز خلفه مسرعة .. كان كل عصب فيه يهيب به أن يمضى قدما . أن يسارع بالفرار .. لكن الى أين ؟ . أكره نفسه على التوقف . ولم يستطع أن يتحول ليواجهها . بل تريث حتى تتجاوزه وتواجهه . ولم ينظر لها الا عندما حاذته .. فحاول أن يغتصب ابتسامة معتذرا .

ـ لقد اخرجني عن وعيي .. كان هذا جبنا مني بالطبع ..
لكن .. كيف حاله الآن ؟. هل يا ترى آذيته ؟.

ـ كلا .. ان أنجي أقوى مما يبدو .. ان أعصابه اهتزت بعض الشيء .. لكنه سرعان ما ينسى ما حدث .

ـ الحمد لله ..

كان غضبه قد انفثأ تماما .. لم يبق الا شعور بالذنب والخوف ..

ـ لست أدري ماذا دهاني .. أتعلمين ؟ . لو لم تكوني قد جئت في لحظتك ، لربما كنت قد قتلته ! .

تطلع الى لويز مترددا .. فتحركت نحوه وشبكت ذراعها في ذراعه ..

ـ كلا يا حبيبي .. ما كنت تفعل ذلك .. ان أنجي مثل حيوان اليف . لكنه أحيانا يبدو مستفزا .. كما بدا معك .. وأنت فقدت أعصابك فقط .. هذا هو كل شيء .

ـ حقا .. لقد فقدت أعصابي تماما ! .

ـ تعال الى الداخل .. ربما كان السبب في كل هذا هو هذه الريح الملعونة .

تقدمته الى الصالون .. وهي تقول :

ـ ان ما يقولونه عنها صحيح .. انها تثير الأعصاب احيانا .

ـ حتى برغم ذلك ..

لكنها وضعت يدها على شفتيه :

ـ ارجوك يا ستيفن .. لقد انتهت المسألة .. لن يحمل لك أنجي اية ضغينة . فلننسها تماما .. لننس انها حدثت .

غمره الارتياح .. وتطلع من جديد وهو يدخل الحديقة الى أنجي وهو يهيل التراب في الحفرة .. وقال :

ـ حسنا .. لكنني خجل من نفسي أشد الخجل . ماذا افعل لأبين لك مقدار أسفي ؟ .

ـ أوه .. أستطيع أن افكر في أشياء كثيرة ! . فلنر الآن .

تبسمت له .. وأضاءت ابتسامتها الحادثة من ذهنه تماما .
ثم هتفت فى حماس :
ــ نعم .. تستطيع أن تعزف لى الليلة بعد العشاء ..
هل توافق ؟ .
شعر بغبطة وعرفان ، فجذب ذراعها الى جنبه :
ــ أوافق .

لكنه أخذ يشعر بمرور النهار بأن تلك الثقة التى أعلن بها موافقته تغادره .. كانت الريح لا تزال تهب عاصفة من البحر والشمس لا تبدو من وراء السحب الا فى لمحات خاطفة .. وأخذ أورلاك يمرن أصابعه على المقعد الذى كان يجلس عليه . وقد أخفى يديه . لكن أصابعه كانت متصلبة ثقيلة الحركة .

وفى المساء خفت الريح وصفت السماء بسرعة . وبزغ القمر . فجلس الى البيانو بنفس التوجس الذى داخله من قبل .

ــ هل تريدين حقا أن أعزف لك الليلة ؟ .

كانت لويز بجوار النافذة . تتطلع الى الخارج فى هدأة الليل . ولاحت الغبطة فى عينيها وهى تحول وجهها اليه . لكن أورلاك استشف من وراء هذا الحبور مسحة من القلق .. نفس المسحة التى لم تغادر وجهها طيلة تلك الشهور منذ وقع الحادث .

ــ لقد وعدتنى يا ستيفن .. أتذكر ؟ .

ــ آه .. بالطبع .. لم انس ذلك .. لكن .. تعلمين اننى لم اتمرن الا قليلا منذ توقف التدليك ..

كان يكذب .. ذلك أن أصابعه لم تمس البيانو الا مرتين .. كل مرة كانت لها نتائج مؤسفة .

بدأ معزوفة لشوبان .. جلس متوترا . ركز عقله فى العزف وأخذ يرقب بلهفة يديه وهما تتنقلان على المفاتيح .. كان يعزف الفاتحة الموسيقية ببطء . بعقله أكثر منه بأصابعه .. وفجأة .. وكانت النغمة سريعة . تعثر وعزف لحنا نشازا .. فتوقف بغتة وأخذ يتطلع الى يديه فى ازدراء .

ــ اترين ؟ . لا فائدة ! .

تحولت اليه لويز بسرعة :

ـ كلا .. لا تتوقف .. استمر يا حبيبى .. أرجوك .. ابدأ من جديد ! .

تردد أورلاك .. أخذ يحرك أصابعه فى اضطراب ، وهو يحدق فى الندوب التى خلفتها الجراحة .

ـ حسنا اذن .. لكن تعالى هنا .. لأستطيع أن أراك .

تقدمت لويز ، ووقفت فى منحنى البيانو فى مواجهته . بدأ يعزف ويتطلع اليها من حين لآخر . لم تعد عيناه تلاحقان يديه فى كل حركة . أخذ التوتر يزايله شيئا فشيئا . وأخذ جسمه يتشرب روح المعزوفة الموسيقية . وراح يرقبها وهو يشعر بأنه يستمد القوة والثقة منها . الى أن وصل الى اللحن الذى تعثر فيه .. لكنه طاوعه هذه المرة ولان سريعا فى يديه . تحولت المعزوفة عندئذ من تجربة الى نصر سجله .. وعندما انتهى تطلع الى عينى لويز المتوهجتين :

ـ اشكرك يا ستيفن .. لقد كان عزفا جميلا ..

اشرع يده لتقابل يدها ..

ـ الفضل لك يا لويز .. هل كنت تدركين بالضبط معنى ما تفعلينه .. لقد أعدت الى ما ضاع منى ! .

جذبها نحوه وهمس :

ـ كنت أستمد منك القوة . استعرت جمالك وأضفيته على الموسيقى .. يستطيع شوبان أن يشكر لك صنيعك مثلما أفعل ! .

كانت قد حاذته الآن .. فدفن وجهه فى صدرها . وشعر بأصابعها تتخلل شعره .. ثم تمسح برفق على جبينه من عارض الى عارض ..

مد يده حول خصرها .. فهتفت باسمة فى حب . وتعانقا .

لكن دوامة ذهنه بدأت تدور فجأة .. شعر بوجهه يتقلص فى ألم .. ففى الوقت الذى داخلته الرغبة فى أن يمتلك لويز كان ثمة رغبة أخرى تنحدر الى حواسه من هذا الجدار الغريب الذى يقسم عقله قسمين .

كانت لويز مستسلمة بين يديه .. ترنو اليه بالحب والرغبة ، وخال عينيها تكبران وتستغرقان بصره كله . وبدرت منها رجفة .. لكنه أدرك أن يديه هما الباعثتان على ارتعاشها . وفجأة انطلقت منها صرخة ذعر مكروبة ، صفا من جرائها ذهنه على الفور ، فوجد يديه حول عنقها تشددان الخناق .. بينما كانت أظافرها تعبث محمومة فى رسغيه ! .

كان يرتجف ، وهو يسمع زمجرة غريبة تتصاعد من حلقه .. جذب يديه بعيدا وقفز الى الوراء ، ولمح لويز ، بعينين نصف مغمضتين ، تلوذ ببعض الرياش . قد اختفت من وجهها الرغبة وأخذت تحدق فيه بنظرة خوف ورثاء . كانت الدموع تنهمر على خديها . وكانت تمسح بيد على عنقها المرضوضة . وبيدها الاخرى على جسمها ، كأنما تحول بينه وبين هجوم وحشى آخر .

ـ ستيفن .. لا شك انك جننت ! .

فتح عينيه على سعتهما .. عاد اليه اليقين أخيرا ، فأومأ موافقا . وأطلق ضحكة مختنقة زادت من معالم الخوف فى وجه لويز .. ثم صاح :

ـ نعم .. مجنون ..

وتوقف ليقاوم شعورا بالمرض دهمه فجأة .. ثم أردف :

ـ يجب الا أبقى هنا .. اننى لا أستطيع السيطرة على نفسى .. اننى لم أعد فى مأمن ! .

تحول ومضى . لكن صيحة من خلفه فاجأته :

ـ كلا يا ستيفن .. انتظر ! .

استمر يسير متجاهلا نداءها . هرول الى الشرفة . وهبط الدرج عدوا . ثم هرع الى جانب البيت ، واخذ يعبث فى مزلاج الجاراج . الى أن فتح بابه على مصراعيه .. وقفز فى السيارة وادار محركها ، فانطلقت الى الأمام .. ثم ضغط على الفرامل عندما لمح لويز على ضوء مصباحى السيارة . تقف فى طريقها لا يسترها الا غلالة متطايرة .. لكنه لم يتوقف ، بل مال بالسيارة وتجاوزها بما لا يزيد عن الشبر ، وانطلق بها الى الباب ، وخرج

الى الطريق بلا تردد . كانت أصابعه متشددة على عجلة القيادة كقبضة خانقة .

كانت عادته الحذر فى قيادته . لكنه الآن صار يطوح بالسيارة مخاطرا فى كل منعطف . يضغط بغير وعى على ضابط السرعة .. قد انتابته رغبة اليمة فى أن يتباعد عن المكان . أن يصل الى مكان غيره . كان كل جزء فى الطريق الممتد مجرد وسيلة يصل بها الى جزء آخر . وكان يطوى الارض ولا يجد الا الرغبة فى المضى قدما .

كان يفعل ما فعله من قبل .. يهرب فى الظلام .. لكنه الآن لا يبالى . عندما هرب من هيلجا كان الفزع يركبه . الفزع مما يمكن أن يفعله . لكن مما يدعو الى السخرية الآن . أن يجد نفسه يهرب مرة أخرى . من لويز هذه المرة . قد تركها هى نهبا للفزع الذى عاناه .

كانت العلامات التى تحدد اتجاه الطريق تمرق بجواره بسرعة لكنه تجاهلها . ترك أمره للمصادفة . ظل يسوق السيارة بضع ساعات الى أن شعر بالألم فى معصمه وذراعيه ، من فرط ما قبض على العجلة أمامه . كفريق يتعلق بشىء .

بدأ الفجر يبزغ .. اخذت الاشجار التى كانت تبدو هياكل سوداء تتحول الى ظلال رمادية . انتزع احدى يديه من عجلة القيادة . وجدها قد اتخذت شكل المخلب من طول تشديدها عليها .. اخذ يحرك أصابعه ليعيد الدم اليها ، واستغرق ذلك دقائق حتى استطاع أن يفتح اليد ويبسطها . ثم وضعها على العجلة وأرخى الاخرى . كان عندئذ يمرق بالسيارة عبر قرية هاجعة .. وسقط ضوء من مصباح فى الطريق على يده ، فعاد الى ذاكرته المخلب الذى كان يطبق على عنق لويز . والابهام يغوص فيه ، بينما كان جسدها يهتز فى يأس يمنة ويسرة تحت وطأته .

اخذ يثنى أصابعه ويبسطها وقد داخله شعور بالمرارة ، كانت الصور تتلاحق فى ذهنه ، فى غير اتساق ، الى أن توقف فجأة عند صورة فولشيف ، وهو يقف بجوار مائدة العمليات . ووجد قدمه تضغط على الفرامل وقد دهمه عزم محموم على ادارة السيارة

والسير شمالا صوب باريس . حتى يدع هذين المخلبين يدبقان فولشيف جزاءه !.

لكنه سرعان ما رفع قدمه قبل أن تقف السيارة عندما تذكر أن فولشيف ليس فى باريس .

كان ثمة لافتة أمامه فى جانب الطريق ، استدل منها على أنه يدخل مارسيليا .. فتطلع الى مؤشر الوقود . ووجد ابرته قد تجاوزت خط الخطر الاحمر وأخذت تتذبذب فى القاع . فتمهل بالسيارة وهو يسير صوب الضواحى . كانت الثورة التى اندلعت فى داخله قد اخذت تنطفىء ، وحل محلها اعياء شديد . لم يستطع أن يبقى عينيه مفتوحتين الا بتركيز عظيم . ووجد نفسه فى لحظة يرفع راسه الذى كان قد انحدر منه عفوا على العجلة .. عندما انبعث صوت بوق مفاجىء . كانت سيارته قد انحرفت عن جادة الطريق واقتحمت سبيل سيارة نقل ضخمة كانت قادمة فى الاتجاه المضاد مكتظة بعمال ركبهم الفزع لمرآة هكذا . واستطاع فى آخر لحظة ان يميل بالسيارة ليتفادى الاصطدام . وأصوات العمال والسائق تلاحقه بالسباب واللعنات.

ادرك أنه لم يعد فى مقدوره أن يقطع مسافة أخرى . فأوقف السيارة وطوح بجسمه الى الوراء فى مقعده ، وتمطى . شعر بعينيه تثقلان من جديد . اكن كان ثمة شيء أقوى من النوم هو ذلك الشوق الذى استشعره فى قرارته الى قدح من القهوة .

فتح الباب ومد احدى ساقيه . تراءى له الطوار كأنه يسبح امامه . فمكث لحظات ليعيد الاستقرار الى نفسه . والى بصره . ثم رفع عينيه وتطلع الى جانبى الطريق .

لم تكن هذه هى مارسيليا التى عرفها .. تلك كانت تغص بالفنادق الرشيقة والحوانيت الحسنة المنظر . والحدائق وقاعات الموسيقى . أما هذه ، فلا يرى من الشارع الذى هو فيه الا ابنية رثة ومقاهى رخيصة واكشاك تعرض فيها الحاجيات . وتفوح منها رائحة السمك والكرنب .

بحث ببصره عن مقهى يروقه منظره بعض الشيء . وجد لافتة

على بعد ثلاثين ياردة تقول : فندق ومقهى (اليبرتى) معلقة على المدخل . وكان ثمة مقاعد ومناضد مصفوفة على شرفة فوق مستوى الطوار . كان المقهى مفتوحا . وكان هناك عميل طويل نحيف يجلس الى أقرب منضدة من الباب وهو يدس كعكة فى قدح من القهوة امامه .

نزل أورلاك من السيارة ، واغلق بابها ، ثم تحرك مثقلا الى المقهى . شعر بنفسه يترنح ؛ لكنه ركز اهتمامه بقدح القهوة على مائدة الرجل . كانت ساقاه توشكان أن تنهارا من تحته ؛ لكنه اغراهما بالمضى . بأمل تلك القهوة القوية المنعشة السوداء .

وجد الرجل يتحول اليه يرقبه . كان شعره أسود ، سوالفه طويلة ممتدة بجوار الأذنين . وكانت ساقاه نحيلتين طويلتين على نحو غير عادى ـ تطلان من الجانب الآخر من المائدة . مشهد يستحق النظر ! .

حاذى اورلاك المائدة . كان الرجل الطويل يتطلع اليه عندئذ فى حيرة .. ثم افتر فمه فجأة عن ابتسامة شوق ، تجاهلها اورلاك ، كما تجاهل اليد التى ارتفعت لتحيته . وتقدم صوب باب الفندق ، وتعثر فى درجة صغيرة .. كان مكتب الاستقبال خاليا . فاستند اليه . وثبتت عيناه على جرس أمامه .. اوشك أن يضغطه عندما انفتح باب من الخلف وخرجت منه امرأة بدينة كانت تزرر رداءها الاسود .. فسألته عن بغيته .

فتح اورلاك فمه ، لكن صوته احتبس . وفجأة دهمته نوبة سعال تركته يشهق . ويداه على ركبتيه .. ثم غمغم :

ـ أريد غرفة .. هل لديك غرفة ؟ .

ـ بالتأكيد يا سيدى .. مرحبا بك فى الفندق .. انا مدام اليبرتى .. بالطبع توجد لدينا غرفة ..

وتطلعت الى رف فيه صفة من المفاتيح .. ثم عادت ببصرها الى اورلاك ..

ـ هل انت وحدك يا سيدى ؟ .

هز لها راسه بالايجاب .

ـ وكم ستقضى هنا ؟ .
ـ لست أدرى بالضبط .
قالها أورلاك فى تثاقل ، بينما انهمكت مدام أليبرتى فى تتبع السجل الذى أمامها .. ثم قالت :
ـ رقم ١٠٢ يا سيدى .. فى الدور الثانى . غرفة جميلة بشرفة . اذا شئت أن تتفقدها ..
ـ سأستأجرها ..
حولت مدام أليبرتى السجل نحوه !
ـ والآن يا سيدى .. وقع اذا سمحت .
بدأ أورلاك يكتب اسمه .. ثم توقف فجأة .. كلا .. لا يمكن أن يكتب هذا الاسم .. انه يهرب الآن من ماضيه ولو وقع باسمه الحقيقى ، للحق به هذا الماضى فى خلال نصف ساعة من توقيعه . سيكتظ هذا الفندق بالصحفيين ينهالون بأسئلتهم فى غير رحمة . سيطلبون منه ايضاحات لمسلكه لينشروها فى صدور الصحف المسائية . انه يستطيع أن يتخيل ما ينشرون : أورلاك يؤثر الاختفاء .. هل انتهت فجأة حياته العملية اللامعة ؟ . وأسوأ من هذا كله عنوان يقول : ما هو سر أورلاك ؟ ! .

ابتسم فى براءة .. سيكون من العسير عليهم أن يكتشفوا هذا السر ان كان ثمة سر . ولعلهم يطلعونه على مثل هـذا السر لو عرفوه ..
دس القلم فى المحبرة .. ثم كتب « س . ستيفن » .
ـ وحقائبك يا سيدى ؟ .
ـ ليست معى حقائب .
تفحصته المرأة بعينين أثقلهما (الرميل) وابتدرته :
ـ لعلك اذن فى هذه الحالة ..
ـ بالطبع .. بالطبع ..

أخرج حافظته بأصابع مضطربة . وهو يدرك تماما وقع نظرات المرأة المثبتة على حزمة النقود . استخرج ورقتين .. ثم قال وهو يقدمهما اليها :

ـ أود أن أتناول قدحاً من القهوة قبل أن أصعد الى غرفتى .
ثم تحول عن مكتب الاستقبال ليجد الرجل النحيل يقف فى الباب ـ يكاد يحاذيه ـ وقد أمسك بيده كعكة وبيده الاخرى صحيفة . فمرق من جواره معتذرا . عبر الباب الى الشرفة . وجلس الى أقرب مقعد .

كانت القهوة قوية ساخنة ـ أمدته بالقوة على أن يعود الى الداخل ـ ويتجاوز الرجل النحيل وهو ينحنى بطوله على السجل .. ثم يصعد الى الدرج فى أعقاب مدام اليبرتى ..

ـ هذه هى .. انها غرفة رائعة .

فتحت له باب الغرفة رقم ١٣ . وتجاوز عتبتها لتصدمه رائحة عطنة أشد من الرائحة فى أسفل الدرج .. وقالت المرأة :

ـ انك وحدك يا سيدى .. لكن اذا شئت فى أى وقت أن تغير رأيك ...

ثم أمسكت دورق الماء وشرعت تجفف جوانبه بالمنشفة .. وأردفت :

ـ فستكون هناك زيادة طفيفة فى الأجر .. هل لديك يا سيدى الآن كل ما تريد ؟ .

أومأ لها موافقا .. ثم جلس على حافة الفراش ..

ـ اذن ..

ولم تتم عبارتها وهى تتراجع ، اذ سمعها أورلاك تغلق الباب وهى تحيى أحدا بصوت عال :

ـ هل تناولت افطارك يا مسيو نيرون ؟ . حسنا .. يا له من صباح جميل !.

صباح جميل ؟ ! . تكوم أورلاك على الفراش .. ثم انزل الستائر ليحجب ضوء الشمس الساطع الذى كان يسقط عبر الحجرة . وحانت منه وهو يفعل ذلك نظرة أخيرة على الطريق .. فلمح الرجل النحيل مرة أخرى يقف بجوار سيارته وهو يحدق فى رقمها . ثم استقام وتطلع الى النافذة . وتلاقت أعينهما لحظة .

شعر أورلاك عندئذ بغضب يجتاحه فجذب الستائر بشدة ..
ثم طوح بالحذاء من قدميه ، واستسلم لأحضان الراحة فى الفراش ..

- ٦ -

تطلع أورلاك بعين نصف مفتوحة، فشاهد معالم حجرة لم يستطع تذكرها ، على بعد شبر واحد من وجهه طالعه كم سترته ! وتمنى أن يتوقف هذا الشيء الذى أيقظه ، بدا كأنه طرق بعيد . لكن أذنيه استطاعتا بالتدريج أن تنقلا الى ذهنه حقيقة الأمر .. كان ثمة من يقرع الباب .. باب غرفته .. قرعا ملحا متواصلا ..

هل استيقظت يا مسيو ستيفن ؟..

ـ أدخلى ..

شاهد فى عتمة المساء جرما ضخما يتقدم صوبه .. قال له عقله انها مدام أليبرتى .. لكن نفس هذا العقل كان يجاهد ليتذكر أين هو بالضبط وكيف جاء الى هذا المكان .. وضعت المرأة على المائدة بجوار فراشه صينية عليها زجاجة وكأس .. وسيفون ..

تمتم بشيء ثم مد يده الى الزجاجة .. فأطلقت المرأة ضحكة كقرقرة الدجاجة ..

ـ لاشك أن سيدى قد استرد عافيته .. سأترك الزجاجة..

تطلع أورلاك بعد أن صار وحيدا فى الغرفة الى الورقة المثبتة على الزجاجة.. كانت تقول فى انجليزية ركيكة مشكوك فى صحتها ان محتويات هذه الزجاجة خليط من أندر أنواع الويسكى الاسكوتش القديم ، لكنه عندما صب منها ما ملأ نصف الكأس وشمه ، تراجع بأنفة فى نفور واشمئزاز .. ثم صب فى الكأس شيئا من السيفون ليقتل اثر الرائحة ، ومس طرفها بشفتين جافتين ، وترك السائل ينساب ببطء فى حلقه .. كان قويا .. أطار من رأسه كل أثر للنوم ، ثم جلس فى الفراش واستند الى الوسادة وأخذ يجرع من الكأس ، وضوضاء الطريق تبلغه ..

وثمة نقاش حاد فى الجانب الآخر من جدار الغرفة يصدم آذنيه أيضــــا ..

كانت هناك امرأة تصيح بشخص فى هزء وسخرية .. بعبارة انتبه أورلاك عند نهايتها ..

ـ ... أو ربما فى السـجن !

ـ لا تكونى حمقاء يا ريجينا .. انك ستفعلين ما آمرك به ..

ـ لن أفعــل .. أقسم اننى لن أفعـــل ، انك وحش شرير يا نيرون .. أتمنى أن .. أوه ... يا الهى ... اتمنى لو انك لم تجعلنى هكذا !

تعالت من الرجل ضحكة خشنة :

ـ أجملك ! لو أردت منعك لمـا استطعت .. لقد ولدت قذرة وستظلين كذلك على الدوام ..

لوى أورلاك وجهه فى اشمئزاز .. وحاول أن يصم أذنيه عن هذا الجدل .. لـكن الصوت كان قريبا منه ، حتى أنه كان يسمع تلاحق أنفاس المرأة .. التى أخذت تسب وتلعن .. ثم ..

ـ كلا يا نيرون .. دع معصمى .. انك .. أوه .

أطلقت صيحة ألم مفاجئة ، فارتفع راس أورلاك عن الوسادة وارتفق كوعيه فى توتر .. وهو على وشك أن يقفز من فراشه ..

ارتفع صوت الرجل من جديد ..

ـ هل ترين هذه العروسة ؟ لقد رأيتها من قبل يا ريجينا ؟ أليس كذلك ؟ رأيتها كثيرا .. انظرى .. أن ساقيهـا وذراعيها تتحركان .. بأمرى سيتحرك كذلك ساقاك وذراعاك . وستفعلين ما تؤمرين !

ـ ولنفرض .. اننى لن أفعل ..

ـ كان صوتها مختنقا بالبكاء ..

ـ اذن سنضطر الى أن نستل السكين من جديد ! أتذكرين ؟ أن ذلك لم يعجبك المرة الماضية .. سيكون من المؤسف أن نضطر لذلك .. وربما ..

وسمع أورلاك جلبة مفاجئة ، كصوت مقعد يقلب ، ثم صيحة

من الرجل ؟ واذ بباب يصفق ؟ وأقدام تهرول فى المـر ، فقفز من الفراش فى نفس الوقت الذى فتح فيه باب غرفته وانسل منـه شبح أغلقه .. فأضاء أورلاك مصبـاح القراءة بجوار فراشه .. كان قد أدرك من وقع الخطوات انها لفتاة .. لذلك كانت الدهشة دهشتها .. اتسعت حدقتاها وشهقت شهقة المفاجاة ، ثم وضعت أصبعها على فمها وأشارت له بتوسل أن يلزم الصـــمت ، بينما أخذت تسترق السمع ، كان ثمة خطوات ثقيلة تمر أمام الباب ، ثم تهبط الدرج ، فتنهدت أخيرا فى ارتياح ، وقالت :

ـ لقد ذهب .. معذرة .. كنت اظن الغرفة خالية ..

جلس اورلاك على حافة الفراش ..

ـ كانت خالية حتى هذا الصباح ، كنت أحاول أن أنام ..

بدت الفتاة نادمة ..

ـ اذن فقد أيقظتك أيضا ؟..

ـ لا عليـك ..

ـ الأفضـــل أن أذهب ..

ثم سوت ـ بيدين مرتعشتين ـ ملابسها الملتصـقة بجسمها على نحو نبه اورلاك الى محاسنها .. ساقان رقيقتان وخصر نحيل .. وفوقه

ما كاد يرفع بصره حتى أطلقت الفتاة صيحة جزع ، اذ سقط فجأة جانب من ردائها ، كان ممزقا عند الكتف ، وانحسر عنها الى خصرها .. أمسكت به والصقته بجسمها ، لتحاول أن تخفى عريها البادى .. ثم شرعت تعقـد ما بين الطرفين المزقين .. لـكنها ما لبثت أن يئست وقطبت وجهها من الألم .. ثم قالت :

ـ هل تسمح بتثبيته ؟ .. اننى لا أستطيع أن أفعل ذلك .. هذا الخنزير نيرون كاد ان يكسر ذراعى ..

صب أورلاك بعض الشراب فى الـكأس ، ومد يده بهـا وهى تجلس بجواره على الفراش ..

ـ خذى هذه ..

ثم جمع الطرفين المزقين ، وتساءل ، وهو يلمح نهدا نصف بارز ..

ـ من هو نيرون ؟..

ـ انه شريكي .. اننا فتاتان نعمل فى الملاهي الليلية .. نيرون وريجينا ..

لاحظ عينيها تتفحصان سترته ، نوعها وطريقه صنعها .. لا ما فيها من تجعدات ..

ـ لا أظن انك سمعت بنا ..

كانت يده اليسرى الآن على كتفها تستشعران دفئه .. بينما كان يحاول بيده الاخرى أن يعقد طرفى الثوب ..

ـ اظن لا .. واظن ايضا اننى لا أحسن عقد هذا ..

ـ اذن خذ ..

وناولته مشبكا من شعرها ثم اردفت :

ـ هذا النيرون ! انه شيطان ..

ثم اهتزت فجأة فسقط المشبك من يد أورلاك على الفراش .

ـ انه يظن انه عبقرى ! موسيقى عظيم .. ولست ادرى ماذا أيضا !

وهزت راسها واستطردت :

ـ موسيقى عظيم ! لو سألتنى رايى لقلت انه يجب أن يلقي به وراء قضبان السجن !

ـ ليست هذه جريمة تذكر !

انطلقت هذه العبارة من فم أورلاك تلقائيا ، بينما هتفت المراة وهي تحول وجهها اليه :

ـ انك لا تعرف نيرون !

كانت جذابة رغم الطبقة الكثيفة من مساحيق التجميل .. وكان ذهنه يزداد وعيا بدفء جسمها ـ على بعد بوصات منه ـ وبأن انزلاقة واحدة من أصبعه كفيلة بأن تجعل الثوب كله ينحسر عنها الى الخصر ، ليكشف نهويها اللذين كانا يمسان معصمه كلما شهقت .. !

ـ ماذا به .. نيرون هذا ؟..

ـ ان الحياة أشربته مرارتها .. انه مفعم بالحقد ، كثيرا ما يفزعنى بتهديداته ولعناته ..

ـ ولمـاذا لا تتركينـــه ؟ ..
ـ اعتقد اننى اعـــرف ماذا سيفعل بى بالضبط اذا ماوضع يده على ... انك لا تعرف ما يشعر به المرء عند ما يخاف احدا .
زايلته الآن كل رغبة فيها .. أثبت المشبك فى غير صعوبة بعد أن سكنت أطراف أصابعه .. وغمغم :
ـ لا تتحدثى عنى بهذا اليقين ..
قالت ضاحكة :
ـ انت ؟.. وممن تخاف ؟..
ـ ربما .. من نفسى !..
وتطلع الى السـجادة الرثة على الارض ، ثم وقف وأخرج حافظته . وجـد الفتاة تلتهمها بعينيها وهـو يخرج منها ثلاث اوراق مالية ..
ـ استطيع أن أساعدك قليلا اذا كنت فى حاجة الى نقود ..
لـكنها هزت راسها بالنفى ..
ـ كلا .. انه لكرم منك بالطبع .. لكن اشكرك .. استطيع أن أدلك على ما يمكن أن تفعله
ـ وما ذاك ؟ ..
ـ تستطيع أن تمنحنى كأسـا اخرى من هـذا الشراب فى الزجاجة .. ترى ما هو .. نوع من الويسكى ؟..
تذكر اورلاك مذاقه ، وتبسم ..
ـ نوع منه . أتريدين بعض الصودا ؟..
وضعت يدهـا تغطى الـكاس علامة الرفض .. ورفعته الى شفتيها وتطلعت اليه ترقبه من فوق الحافة .. عاودته الرغبـة من جديد .. فجلس على بعد بوصات منها ..
ـ هل ترانى جذابة ؟ !
اقتحم ببصره عينيها ..
ـ جدا ..!
ـ انك حسن الطلعـة كذلك .. عطوف وكريم .. تريد أن تهبنى تلك النقود ..

ـ لماذا لم تأخذيها ؟ ..
مالت نحوه . ودهمه فجأة احساس اليم ملح بالتملك ، غمر كيانه كله وهو يلحظ لأول مرة ثنية شفتها السفلى واغراءها ، شعر بنفسه يتمزق بين الرغبة والاشمئزاز ، فتساءل من جديد .
ـ لماذا لم تأخذيها ؟
ـ حسنا .. انني ..
وعبثت باصبعها فى أغطية الفراش ، ثم اردفت :
ـ انني لا اعرفك جيدا ..
وزحفت يداها على معصميه ، وصعدتا الى ذراعيه .
ـ لكنني أود ذلك .. اود ان أعرفك أكثر وأكثر .
تحرك نحوها وشعر بذراعيها تطوقان عنقه . وامتدت شفتاه الى شفتيها . وشعر بنشوة التلاقى لحظة ، ثم انزلق لخدها وهمست فى أذنه .
ـ قل لى ..
ـ ماذا ؟
ـ ما هذا الشىء الذى تخافه ؟
تغيرت الرغبة التى كانت فى يديه .. قبض على ذراعيها بفظاظة ، ودفعها بعيدا ، حتى أصبح وجهها فى مواجهته .. جاشت أعماقه بالدوامة التى كان الارهاق والتعب المضنى قد انجياه منها لفترة . سمعها تقول فى اضطراب .
ـ حسنا . لا تخبرنى اذا لم تكن تريد . كنت ابغى فقط ان أكسب صداقتك .. سنكون أصدقاء .. اليس كذلك ؟ .
قمع بسرعة لمحة الغضب التى كادت تلوح فى وجهه . كانت الدوامة ترتفع فى أعماقه .. تكتسحه ، تغرق الجانب العاقل من ذهنه ـ تلك الكلمة التى سمعها « اصدقاء » لم يخطىء وهو فى دوامته معناها . كانت دعوة .
... خفف قبضته وتساءل وهو يربت على ذراعها .
ـ اصدقاء ؟ .. ولم لا .
زايلتها معالم الاضطراب وهتفت .

ـ هكذا أفضل ..

ثم وقفت بسرعة وانحنت عليه تقبله ، وقالت :

ـ يجب أن أرحل الآن . هل تحضر لتشاهدني وأنا أرقص ..؟ اننا نعمل في ملهى القرد الأزرق !

ـ ربما ..

كان عقله يكافح الآن ليسترد سلطانه ..

ـ متى ..؟

ـ لست أدري ..

فغادرته واغلقت الباب ، لكنه كان يعرف عندئذ الجواب ..

.. غسل وجهه . وحك بيديه نتوء ذقنه . كانت زجاجة الشراب لا تزال ممتلئة الى النصف ، فصب لنفسه كأسا بسخاء ، وجرعه .. متجاهلا مذاقه ورائحته ، لا يعي الا الدفء والقوة .. وشعور الاغراء الذي تصاعد في كيانه مع الدوامة ـ كان يرى جسم ريجينا ، مثلما رأى من قبل جسم لويز ، لكن يديه لم تتحولا عنه في فزع ـ بل شرع يضغط ويشد والجسم بين راحتيه يهتز ويتمايل في اغراء على نحو لن تستقيم معه أبدا اطرافه البيضاء !

انفجر الكأس في يده من ضغطة يده وهو في تخيلاته . تطلع اليه فوجده مكسورا ، ويده يسال منها مزيج من الشراب والدم .

ضمد يده بمنديل . وخرج الى الطريق الذي كان خافت الاضاءة ، يبحث عن حلاق . هبط من شرفة المبنى الى الطوار ، ثم توقف فجأة واستدار عندما لمح سيارته الواقفة . كان ثمة رجل من رجال البوليس ينظر في داخلها .. وآخر يكتب في مفكرته رقم رخصتها .

تحرك أورلاك سريعا في الاتجاه المضاد . ادرك لأول مرة أن ملابسه قد تناثرت فيها التجاعيد ، وان حذاءه مغبر ، وحك ذقنه من جديد .

ـ هل تشعر بوحدة يا حبيبي ؟

جاءه الصوت ـ يلقي هذه الفاتحة المألوفة ـ من ركن مظلم بجوار مخزن . ثم خرجت من الركن امرأة الى دائرة النور الخافت

من احد مصابيح الشارع ، ولكنها ارتدت فجأة عندما واجهها ـ وعيناها ممتلئتان رعبا ـ ولاذت بالخباء من جديد .

شعر اورلاك بالدم ينبض فى اصابعه . وتوقف عن الخطو .. لماذا ينتظر .. هذه التى اسمها ريجينا .. بينما هنا الآن بقربه وفى متناوله ..

لكنه سمع هرولة أقدام تعدو ، فأدرك أن الوقت قد فات .. مضى مقطب الجبين . عقله قد عادت اليه غرابته ، واخذ يفكر ؟ هل ابدو مفزعا الى الحد الذى تخافنى فيه امرأة من نساءالطريق؟ هذا هو الخطر البالغ .. أعظم الخطر ..

كانت الحوانيت التى يستطيع ان يشترى منها ملابسجديدة مغلقة الأبواب . لكنه ظن أن ليس من العسير العثور على حلاق . بدأت الأضــواء تظهر فى الشارع .. لافتــات من النيون فوق قاعات رقص ومسارح رخيصة . لمح لافتة حلاق مثبتة فى جانب مقهى قد انتشر فيه الضجيج تشير الى درج حجرى يقــود الى بدروم .

وعندما ارتقى الدرج بعـــد ربع ساعة ، أحس بطراوة .. وباستعداد أكثر للقاء القرد الأزرق وريجينا !

كان الملهى هناك على بعد مائة قدم منه كان ثمة لافتة تقول : بار القرد الأزرق ، وكان ثمة قرد أضيئت خطـوطه الخارجيـة بالنيون . وعندما حاذى اللافتة ، وجد ثمة لوحة اخرى تقول : هذا المساء ـ ملكا الاثارة نيرون وريجينا . وكانت الحروف قد خطت على نحو سقيم فوق صورة كبيرة لريجينـا .. بمـلابس كاشفة . وبجوارها الرجل الطويل النحيل ، الذى كان يرقبه من الشرفة ، وهو فى زى ساحر .

توقف حائرا أمام المدخل ، يتناهى اليه نشاز اوركسترا لم يتمرس افراده بالعزف ، وضحكات تنبعث خشنة من أفواه عملاء سكارى . قال له علقه فى شجاعة : لماذا انت هنا يا ستيفن ؟ .. تقف خارج ملهى سيىء السمعة فى اعشاش مارسيليا واحيائها القذ، ة .. ماذا تعنى ريجينا بالنسبة اليك ؟ وماذا يعنى نيرون ؟!

لكن صورة ريجينا كانت هى الآن جواب كل سؤال . بدا كأن

قوته تنساب من عقله الى يديه .. كانت يداه هما اللتان تفكران، أما عقله فلم يكن أمامه سوى الطاعة .

دفع الباب الدوار ودخل . لم يستطع لأول وهلة أن يرى ما في الحجرة من فرط ما انعقد فى جوها من سحب الدخان ، ومن فرط ما خفت ضوءها . ووجد وراء الموائد المكتظة بارا يمتد الى الطرف الآخر . فأخذ يشق طريقه صوبه .. بين ازواج ملتحمة من رجال ونساء ، لا يكادون يتحركون على حلبة للرقص تبدو فى شكل حدوة .

كان معظم الضوء ياتى من مسرح صغير اقيم الى جانب اوركسترا من ثلاث آلات . وعندما بدات عيناه تعتادان الضوء القريب ، وجد فى وسط المسرح نيرون واقفا يؤدى بعض العابه السحرية بمائدة وقبعة عالية — لكن معظم العملاء الحاضرين كانوا فى شغل عنه .

توجه الى البار وأشار للساقى فحدقه بشك وريبة . طلب كأسا من الويسكى والصودا ، فأحضره . وانباه بالثمن . فأخرج اورلاك حافظته . وعندئذ تغيرت نظرة الشك الى أدب واحترام . رمى بورقة مالية على البار ، وأشار بيده للساقى ليأخذ الباقى لنفسه .

— أشكرك يا سيدى .

وتحول اورلاك الى المسرح — حيث خفت الضوء اكثر واكثر .

— سادتى ..

كان نيرون يرفع يده التى بدت كالعنكبوت — معلقة بذراع رخوة كذراع العروسة (اللعبة) التى يحملها بيده الأخرى . وانحنى ساخرا ، ثم أردف :

— .. وسيداتى أيضا .. يجب الا ننسى السيدات !

كانت حركة سخيفة لكن ضج لها بالضحك رجل كان يجلس على ركبتيه امراة بدينة حمراء الشعر . وصفعته على وجهه وتظاهرت بانها تجاهد لتتخلص من قبضته .

اشار نيرون الى المراة — يستغل الموقف :

— هل ترون ؟ . ان للسيدات أيضا خطاياهن التى سيحاسبن

عليها .. ومتى يحين الحساب ؟.. آه ايها السادة من .. يوم الحساب العسير ؟ . ترى ماذا سيكون الحكم الذى سيصدر على السيدات ؟!

وفجأة اطفئت جميع الانوار على المسرح . وظهر شعاع واحد مسلط على هيكل عروسة (لعبة) تجلس على مقعد صغير .. وبجوارها شيطان يتوهج بضوء أحمر معتم .

اتسع شعاع الضوء .. حتى اضاء هيكلا مختفيا تحت غلالة فى طرف المسرح . كان الهيكل مغطى الرأس حافى القدمين . شرع يتحرك الى الامام ، ويميل من جانب الى جانب ، ويتخلص ببطء من الغلالة . ظهر أولا وجهها ــ وجه ريجينا ، ثم كتفاها وذراعاها ويداها . وبدأ الشيطان والعروسة يرقصان ، على جانبيها ، رقصة أخذت تزداد سرعة فى تلاحق محموم .. بينما كانت الغلالة تنحسر شيئا فشيئا .

اغتبط أورلاك لوجوده فى الظلام ، حيث لا يستطيع أحد أن يرى يديه تنقبضان وتنبسطان فى ارتعاد واهتزاز . كان الضوء يلمع على عنقها العاجى الابيض . وكان هذا هو كل ما يستطيع أن يفعل ليمنع نفسه من القفز بين الموائد المكتظة الى المسرح.. ويترك يديه تفعلان ما تريدان .

كانت الغلالة لا تزال تنحسر ــ وضجت عاصفة من الضحك عندما صاح صوت :

ــ أسرعى يا فتاة .. لن نستطيع ان ننتظر طول الليل !

وفى الوقت الذى انحسرت فيه الغلالة تماما ـ كانت العروستان ترقصان أمامها . ثم أطفىء شعاع الضوء . وعندما عادت أنوار المسرح من جديد كان نيرون وريجينا يقفان معا ، قد التفا بعباءة طويلة ..

قوبلا بتصفيق متناثر . ووجد أورلاك نفسه يشترك بتصفيق شديد ، بكلتا يديه على سعتهما . انحنى نيرون وانسلت ريجينا بين الستائر المسدلة فى نهاية المسرح . وأخذ نيرون يقطع الوقت ببعض حيله . جعل العروسة تفكك نفسها عضوا عضوا ، وتعطى

كل عضو للشيطان ، الذى كان يلقى به فى جانب المسرح .. ثم انسحب .

وعادت ريجينا الى الظهور من أحد جانبى المسرح ، تبتسم للجمهور فى اثارة . وشرعت تؤدى رقصة (بالريش) ، وتذكر أورلاك انه شاهدها من قبل فى المقاهى البشعة التى كانت تقع بالقرب من مطار رابطت فيه وحدته خلال الحرب . كان الرقص العارى يثير اشمئزازه دائما . وبدأ جانبا عقله يتجادلان من جديد . أخذ يتطلع حوله فانتهى الى أن معظم هؤلاء الرجال ليسوا اصحاب حظ فى اجتذاب النساء بشخصياتهم . كانوا شيوخا ، كانوا مترهلين .. مخدوعين .. خلاصهم الوحيد فى حافظة مثقلة بالنقود . كان الرقص العارى وما يلحقه من صفقة تجارية فى غرفة النوم - أقرب ما يحقق لهم اطلاق طاقتهم العاطفية .

واطلق اورلاك ضحكة ، ضحكة مريرة لفتت نظر امرأة تجلس الى مائدة مجاورة فتحولت اليه فى قلق وانزعاج ، ياله من وضع عظيم يوجه منه انتقاداته ! انى له ان يجد فى غير هذا المكان ، عنفا كهذا العنف .. لا أهمية لها ! .

اشار اورلاك الى رجل كبير السن ، يرتدى سترة عشاء وسمية مجعدة ، بدا له منها انه رئيس السقاة . ثم شاهده يتبادل الايماءات مع ساقى البار .. الى ان أومأ الاخير ايماءة حازمة قاطعة . وسرعان ما جاء اليه بمائدة اضافية عبروا بها الرءوس الجالسة الى الموائد .. ليضعوها بجوار حلبة الرقص . وما كاد يجلس حتى فتحت أمامه زجاجة جديدة من الشمبانيا .. يا لسحر قوتها هذه الحافظة المفعمة بالنقود . يكفى أن يلوح بها المرء لتنهار الجبال وتظهر البحار الجديدة وتتخلى الجيوش عن المعارك .. و .. ترقص النساء !

ترقص النساء ؟

تذكر تثنيات ريجينا وحركاتها العذبة وهى فى الغلالة . وشدد قبضته على ساقى المقعد بقوة شديدة حتى خال خشبهما يتحطم . رقص مناسب .. افضل من هذه الاوضاع التى تلعب

فيها بالريش .
كانت ريجينا الآن فى صدر المسرح تقريبا . وكان شعاع الضوء المسلط عليها قد تجاوزها ليتابع ريشة بيضاء القت بها بين الكواليس ، وعندما عاد الشعاع اليها لم يكن قد بقى فى يديها سوى حزمة واحدة من الريش .
وصاح صوت على يمين أورلاك :
ـ القى بها بعيدا !
فحانت من اورلاك نظرة الى أقرب الموائد اليه ، فاذا برجل أصلع يجلس مطوقا بذراعه خصر فتاة ترتدى ثوبا شفافا من النيلون . لكن عينيه كانتا مصوبتين الى ريجينا .
وعندما حول اورلاك بصره الى المسرح مرة أخرى شاهدته ريجينا . فتوقفت فى وسط المسرح ووهبته ابتسامة طويلة مغرية . ثم بدأت تقترب ، تحرك قدميها فى كل مرة بضع بوصات قليلة الى الامام . لكنها كانت تهز أردافها فيتساقط منها الريش أمامها . طار عقل أورلاك ، واخذ يرقبها وهو مسحور بينما كانت تهبط من خشبة المسرح وتتحرك صوبه ـ وعيناها لا تفادران وجهه .

أخذت الموسيقى عندئذ تصخب .. وتنطلق سريعة لتصل الى ذروة اللحن . وعند النغمة الاخيرة القت ريجينا بحزمة الريش فى حجر أورلاك .
شعر اورلاك بيد ثقيلة تهوى على كتفه . دار على عقبيه ماخوذا ، ليجد الرجل الاصلع يغمز له بعينه .
ـ اهنئك يا صديقى .. لكن هل لك أن نتبادل ؟!

واشار الى الفتاة ذات الثوب الابيض من النيلون واستطرد .
ـ هذه صغيرة .. كفرخ من أفراخ الربيع !.. سأقول لك شيئا . آخذ أنا الراقصة وتأخذ أنت هذه ؟..
شعر أورلاك بميل شديد الى أن يسدد قبضته الى هذا الوجه المستدير الشاحب ، الذى كان صاحبه لا يفتأ يبتسم . لكنه جاهد ليقاوم هذا الشعور ، ونادى على الساقى .
ـ نعم يا سيدى .

فوضع أورلاك ورقة مالية بين سبابته ووسطاه وقال :
ـ خدمة صغيرة ...
فتطلع الرجل منهوما الى الورقة المالية وهتف :
ـ أى خدمة يطلبها السيد
ـ اذهب الى مدموازيل ريجينا . واخبرها .. أن مسيو ستيفن يبعث اليها بتحياته وتهنئته ويرجوها ان تشرفه بمشاركته مائدته .

فتوقف الرجل برهة كأنما يشك فى شيء .
ـ مدموازيل ريجينا يا سيدى ؟.. لست أدرى .. ان .. مسيو نيرون موجود .. انه رجل حاد الطبع !.
اضاف أورلاك ، وقد بدا نافد الصبر ، ورقة أخرى الى تلك التى فى يده . فابتلع الساقى ريقه بصعوبة ، ثم مد يده وتناول النقود .

ـ سأفعل يا سيدى .. وليساعدنى الله .. بمثل هذا القدر من المال أقدم طائعا على خنق المسيو نيرون !
فلوى أورلاك شفتيه أمام هذه الشراهة المريرة ،لكنه لم يعقب. وصب لنفسه كأسا من الشمبانيا ثم أشعل سيجارة ، متجنبا ان تلتقى نظرته بنظرة الرجل الاصلع الرابض على يمينه ، الذى كان لا يكف عن دفع فتاته الى دائرة بصر أورلاك كبائع متلهف يعرض بضاعته فى سوق ماشية . وفجأة ، ومن باب خلف البار ، خرجت ريجينا برداء براق ـ عليها مهابة الملكات ـ فشعر أورلاك بتقبض فى حلقه وأخذت يداه تهتزان خلف المائدة برغبة وحشية فى ان يمزق الرداء عن كتفيها . وصب لنفسه مزيدا من الشراب فى الكأس بأصابع مرتعدة . ثم وقف . وسقط المقعد من ورائه .. فخف على الفور احد السقاة واعاده الى مكانه ، ثم تقدم واعد مقعدا آخر لريجينا . وعندما اقتربت منه خلعت عنها مهابتها الملكية واستبدلت بها ابتسامة اغراء . وبسطت له يدها ليقبلها ثم جلست .
ـ لقد كان حضورك عطفا منك .. هل اعجبك العرض ؟

فصمتت اورلاك حتى ملأ الساقى كأسيهما وابتعد . ثم مال على المائدة وقال :

ــ العرض ؟ . لقد اعجبنى كثيرا .. ما رأيته منه .

فلوحت أمام عينيه باصبع لائمة :

ــ والآن .. يا مسيو ستيفن .. لاشك انك رايت الكثير من مكانك القريب هذا !

فوضع يده على يدها ومس ذقنها بيد أخرى . وجعل يربت عليها برفق وهو يقول :

ــ لقد اعجبنى ما رايت .. كثيرا جدا .

فسحبت ذقنها ، حتى لا تكون فى متناوله ، ثم تطلعت اليه باستغراب .

ــ لكن لايبدو عليك انك استمتعت بشىء !

فحاول بسرعة أن يرسم على وجهه ابتسامة . لكن صوته خرج مكتوما . وأدرك وهو يتحدث انه لم يتناول طعاما بالمرة خلال الساعات الأربع والعشرين الأخيرة .. لم يتناول سوى نصف زجاجة من الويسكى اعقبها نصف زجاجة من الشمبانيا منذ استيقظ من نومه . فقال فى تثاقل :

ــ الجو هنا حار .. كل هؤلاء الناس من حولنا .. الا نستطيع ان نذهب الى مكان آخر ؟

فاقتربت ريجينا منه مرة أخرى وقالت :

ــ أود ذلك بالطبع .

ــ حسنا .. سأطلب الحساب .

لوح للساقى ، لكنها امسكت يده :

ــ لقد قلت اننى أود ذلك ، لكننى لا استطيع . ليس قبل الساعة الثانية . يجب أن ابقى لأرفه عن الزبائن . ان هذه مهنتى التى أتلقى عنها أجرى .

فأخرج أورلاك حافظته من جديد وقال :

ــ ربما اذا تحدثت الى المدير ..

فأسرعت تقول :

ـ كلا .. بربك لا تفعلَ . لو سمع نيرون بذلك لسلخ جلدى وأنا حية !

وجد اورلاك الساقى بقربه ينتظر باحترام وفاتورة الحساب فى يده . فلوح له ليصرفه . لكن ريجينا اشارت تستبقيه . ثم مالت اليه وربتت على خده بأطراف اصابعها وهمست :

ـ كن صبورا يا حبيبى .. أعرف انك تود أن أصحبك الآن لكننى لا أستطيع .. بسبب نيرون ، وبسبب عملى .. عد أنت الآن الى الفندق .

فرفع اورلاك حاجبيه دهشا ، بينما استطردت :

ـ لا تنزعج .. لكن وجودك هنا لن يسرك . سأضطر الى التحرك .. والجلوس الى الموائد الأخرى ، لاحمل هؤلاء الأوباش على طلب المزيد من الشراب .

قالت ذلك وأشارت نحوهم بيد محتقرة ، ثم استطردت :

ـ ان هذا سيستمر الى الساعة الثانية ، لكننى سأنسلَ عندك متى استطعت الافلات من هنـا .. لاتناول معك بعض الشراب.

وكورت شفتيها فى شكل قبلة ثم اردفت :

ـ ما رأيك ..

فأومأ لها برأسه موافقا وقلبه يصخب :

ـ جميل .. لكن لا تتأخرى .. اننى رجل قليلَ الصبر بطبيعتى.

فوقفت ريجينا. ودفع أورلاك الحساب وهى تغمز له وتضغط اكتفه برفق ، ثم تحركت الى مائدة أخرى ، تحيى بحماس جماعة من العملاء الذين اعتادوا ارتياد هذا الملهى .

صدم الهواء الرطب فى الخارج وجهه كقبضة اليـد . وقف قليلا يترنح مدركا أنه تعاطى من الشراب أكثر مما تعاطى فى أية مرة خلت لسنين طويلة الى الوراء . وبدا له أن تغير الجو ، من الحرارة والضوضاء والدخان فى الملهى ، الى ما هو فيه الآن قد

اتاح للتعقل فرصة ، كان عقله يقول له بحماس وحزم: انج بنفسك. انج بحياتك .. لكن ساقيه كانتا تترنحان على الطوار . فجعل بينه وبين الجدار طول ذراع ، ليتمكن من ان يستند عليه اذا ما بدات ساقاه تتخلخلان من تحته .

كان الطعام دائما هو الجواب على مشكلته هذه . عندما كان يعمل طيارا فى بريطانيا عاد الى قاعدته اثر ليلة حافلة فى لندن . كان يدرك ان نداء استدعائه للعمل قد يجىء فى اية لحظة متى بزغ الفجر . فملأ معدته بطعام كثير .. بكل ما وقعت عليه يده . وعندما حان الوقت كان قد افاق تماما على نحو كفل له قيادة طائرته واسقاط طائرة المانية .

كل ما يحتاج اليه الآن هو وجبة كبيرة تمتص كل الكحول الذى اغرق به معدته . لكن نفس هذه المدة ارتدت وتقلصت لدى فكرة الطعام ، فظل يسير متجاوزا نوافذ المحال التى يتصاعد منها البخار ... لا يقدر ان يتطلع الى الفطائر الساخنة .. والدجاج .. وقوائم الطعام التى كتبت بالطباشير على سبورات معلقة .

استغرقه العثور على فندقه بعض الوقت . كان ثمة فنادق اخرى تشبهه . وكان اسم الليبرتى قد ضاع من ذهنه . لكنه عرف الفندق اخيرا بسيارته التى كانت تقف بالقرب منه ، بجوار مصباح من مصابيح الطريق .

صعد الدرج وفتح باب الدخول . ثم توقف . وجعل يحدق فى شخصين امامه . كان احدهما نيرون .. وكان الآخر يرتدى معطفا وينحنى على سجل الفندق .. كانت لويز تهتف فى عجب :

ــ انه خط يده . لقد كتب من . ستيفن .. لكن هذا يعنى ستيفن اورلاك !

وشاهد اورلاك ملامح فهم تشرق على وجه نيرون .. واذا به يبتسم ابتسامة فوز لم تشهدها لويز .. ويقول :

ــ هذا هو السيد الذى ينزل فى الغرفة رقم ١٣ .. هل لى ان ادلك على غرفته ؟

فقال اورلاك فى اعياء :

ـ كلا بالطبع ..

ثم تقدم من جانب الباب وتجاهل صيحة دهشة اطلقتها لويز ـ وتناول ذراعها ومضى بها الى الدرج .

ـ ساريك الطريق بنفسي .

واخذت تنظر من فوق كتفه وهما يصعدان .. حتى تبين أن نيرون قد اختفى ، فتحول اليها وطوقها بذراعيه ، وهى تبسط أيضا ذراعيها نحوه .

ـ لويز !

ـ ستيفن .. أوه .. لشد ما كنت قلقة !

تملكته عاطفة رقيقة عاقلة . استطاعت ذكريات العام الذى عرفها فيه أن تكتسح من كيانه الخوف .. وتلك البهجة البشعة التى كان قد بدأ يستشعرها خلال ساعاته الماضية . لكن ذلك لم يمكث سوى لحظات . فسرعان ما خلص نفسه من ذراعيها ـ ببطء لكن بعزم ـ ثم تحول عنها واغلق الباب . وقال ببرود :

ـ كيف أمكنك العثور علي ؟!.

ـ السيارة يا حبيبى .. لقد عثر عليها البوليس .

فتدخل باقتضاب .

ـ البوليس ؟

ـ اننى آسفة .. سامحنى يا ستيفن . لكننى كنت فى أشد القلق . طلبت منهم أن يقوموا ببعض التحريات .. كنت اظن أن حادثا الم بك . لقد كنت تقود السيارة وأنت كالمحموم .. كان من المحتمل ان تقع حادثة .

فانبرى يقول فى اكتئاب ظاهر :

ـ اننى فى احسن صحة كما ترين !

راى عينى لويز تطرفان ، وهى تتفحصه فى عجب .

ـ واذا كنت فى أحسن صحة يا حبيبى .. فلماذا تأتى الى هذا المكان البشع ؟

كانت تنقل بصرها فى ارجاء الحجرة ففعل مثلها . اكانت الحجرة تبدو كتلك الحجرات التى تؤجر بالساعة اكثر منها

باليوم .. سرير متداع .. سجادة بالية .. أناء متصدع وصنبور مكسور . والعناكب قد نشرت خيوطها فى السقف المغبر .

نظر الى نفسه بمرارة فى المرآة الملوثة .

ــ انها تناسبنى يا لويز .. أرجوك . لا تسالينى ايضاحا .. لكنها تناسب ما صرت اليه !

وبينما كان يتحدث سمع صوتا فى شرفة الحجرة ورأى نظرات لويز تتحول نحوها بحدة . ثم تساءلت :

ــ ما هذا ؟. الا يمكن أن يكون ثمة لصوص فى هذا المكان ؟.

ــ الأرجح أنها قطط .

فتح باب الشرفة وتقدم . وخال انه رأى شبحا ذاب فى ظلمات شرفة أخرى.

وقالت لويز وهى تحاذى كتفه :

فهز كتفيه فى غير اكتراث

ــ هل هى قطط ؟

ــ ان الرؤية متعذرة فى هذا الظلام .. لا عليك .. ليس لدى ما يمكن سرقته .

ــ ستيفن

ــ نعم ..

ــ تعال هنا فى الداخل .

فأغلق باب الشرفة على مضض ، وتطلع اليهـا فى تساؤل . لكنها كانت تستند الى حافة الفراش وتتحدث ببطء وقد خفضت راسها :

ــ يجب أن نتحادث ..

ــ أعلم ذلك .. لكنه امر بالغ الصعوبة ــ انه يبدو كالصياح عبر المحيط .. لا فائدة منه .

مدت يدها نحوه تهتف باسمه فى رثاء ، ثم سحبت يدها فى حزن على ما يبدو عندما تجنب ملاقاتها .

ــ فلنحاول على الأقل .. الاصوات يمكن ان تقطع مسافة بعيدة ، اذا كان المحيط هادئا .. لماذا هربت يا ستيفن ؟.

دهم اورلاك شعور غريب . كأن الدم قد هرب منـــه . كأنه صفى تماما . وعاد هو خفيفا هشا يسبح فى أرجاء الحجرة .. لكنه وهو فى شبه غيبوبته تلك ، وجد ان اجابته صادقة تماما !

ـ لكننى لم اهرب منك يا لويز . لقد كنت أفر من نفسي .. ويبدو ان هذا لم يفدنى كثيرا ..

بسطت لويز يدها من جديد .

ـ اذن عد الآن ! لقد كنت يا حبيبى لا تكف عن القول بأنك فى حاجة الى . الم تكن تعنى ما تقول ؟

لم ينبس بكلمة . ثم أومأ موافقا عندما رفعت اليه عينيهـا وشاهد فى وجهها معالم التعاسة واللوم .

ـ اذا كنت قد احتجت الى من قبل .. فأنت تحتاج الى الآن بالتأكيد . أعلم ان السبب هو الحادث . انك لا تزال تفكر فيه.

أمسكت بيده وقبضت عليها باحكام لتؤكد كل كلمة .

ـ الا تدرك اننى افهم موقفك يا حبيبى . اريد ان أســاعدك على نسيان الحادث .

شعر اورلاك بطبقة من العرق تتكثف على جبهته .

ـ ليس الامر بهذه السهولة يا لويز .. المسألة ليست متعلقة بالحادث فقط .. بل بما اعقبه .

تطلعت اليه متسائلة :

ـ ما الذى أعقبه ؟

ـ بعد الحادث بساعات قلائل .. عند الفجر .. اعـدموا رجلا بالمقصلة !

ـ اعلم ذلك . انه فاسير

ـ كنت تعلمين ؟ !

زادت معالم الحيرة فى وجهها .

ـ أجل .. بالطبع .. كل الصحف نشرت ذلك .

فقاطعها بعنف

ـ إذن لماذا ذهبت بى عند فولشيف ؟!

تراجعت فى انزعاج .. بنفس تعبير الخوف الذى لاح على وجهها فى الليلة الماضية ـ وكررت سؤاله دون وعى

ـ لماذا ؟ !

فأهوى على المائدة بقبضة يده . لكنه لم يلحظ فى ثورته ألمه من جراء ذلك .

ـ نعم .. لماذا .. لماذا ؟

اتسعت حدقتاها .

ـ كان .. يبدو انه الرجل المناسب لذلك .. ستيفن .. لماذا تنظر الى هكذا .. لقد .. ذهبت بك الى فولشيف لشهرته . اعنى .. انه عبقرى . الكل يجمعون على ذلك . لقد قام بعمل كبير .. فيما يتعلق بصوارخ الفضاء .. وفعل الاعاجيب بزراعة الاعضاء واستبدالها و ..

ماتت الكلمات على شفتيها واشرق فى وجهها الفهم مصحوبا بذعر بالغ .

بسط أورلاك نحوها ذراعيه . وقال مكملا :

ـ و .. والأيدى .؟

فشهقت مرتعدة .

ـ كلا .. كلا .. لاتعتقد يا حبيبى أن .. ليس هذا ممكنا .. انه خيالك . انه تسلط فظيع ذلك الذى ينتابك . يجب انتكافحه .

تحرك صوبها فالتصقت بالجدار .

ـ هل تعتقدين انني لم احاول ؟ انظرى الى هاتين اليدين !

ودفع بهما الى بضع بوصات من وجهها ـ وندوب الجراحة تلوح فى رسغيه .

ـ ليست هاتان يدى ! انهما يدان غريبتان لهما افكارهما وارادتهما الخاصة .. انني لا املك السيطرة عليهما . انهما يدان شريرتان ـ قاسيتان ـ مجرمتان !

واذ هو يتحدث شاهد اصابعه تلتوى كالخطاف ، وتعلو الى عنقها . فجاهد فى معركة اليمة مضنية جعلت ذراعيه ترتعدان من الرسغ الى الكتف .. حتى استطاع قسرهما على النزول الى جنبيه ثم همس فى صوت منخفض متوتر .

ـ يحسن بك أن تذهبى يا لويز .

ـ كلا ..

اطلقت صيحتها بفزع ، لكن العزم كان يملؤها .

ـ كلا يا ستيفن .. لست أخشاك !

فصاح بدوره فى ألم .

ـ اذهبى .. انني آمرك .. اذهبى !

حدقت فى يديه .. وهى تهتزان وتختلجان الى جنبيه ـ وهو لايستطيع السيطرة عليهما .

ـ حسنا .. سأذهب اذا كنت تريدنى أن أذهب . لعل من الأفضل لك أن تبقى وحدك لفترة لتستطيع أن تتخلص من هذا الخيال . لكن متى احتجت الى ..

وتوقفت ، ثم أرغمت نفسها على مس المخالب المرتعدة .. وتناولتها برفق فى راحتيها ، واستطردت :

ـ .. وستحتاج الى حتما أيها العزيز .. متى احتجت الى فلا تتردد .. انت تعلم أين تعثر على . أغلق عينيه .. كأنه لايشق بنفسه .. الى أن سمع الباب يغلق وراءها . فتقدم ويداه مشرعتان أمامه ، وعبر الغرفة الى النافذة . ووقف يتطلع الى الطريق .

- ٧ -

كان أول أثر لمسه فى نفسه بعد خروج لويز صدمة الوحدة . لو كانت المسافة بين حجرته وبين الشارع كبيرة لاستطاع أن يعالج هذه الوحدة بالقفز من النافذة ! لكن عزمه على الانتحار سرعان ماولى . وبقى بدله شوق مجنون الى لويز .. ربما يقول ..

غادر مكانه بجوار النافذة ـ لايعرف بالضبط أين يتجه . لم يعد التطلع من النافذة وسيلة الى الهرب . كانت مغلقة مثل نافذة سجن قد اعترضتها قضبان . توقف مرة أخرى أمام المرآة وتطلع الى صورته باشمئزاز . لم يعد يرى نفسه وحشا ـ بل مجرد رجل اسلم قياده لجسمه بدلا من عقله . كانت ملابسه المجعدة متربةمن الجدران التى كان يصطدم بها وهو فى سيره يترنح عائدا من ملهى

القرد الأزرق . وكان ثمة نثار من رماد السجائر على سترته من الأمام ، فنفضه بيده ممتعضا ، ثم فحص هذه اليد ــ وكذلك وجهه فى المرآة ــ مدركا انه بهذا العمل الغريزى البسيط انما يخطوخطوة عائدا الى طبيعته . واستل من جيبه مشطا أخذ يسوى به العقد فى شعره المهوش .. حتى بدا أخيرا فى مظهره الطبيعى ــ خلا تلك النظرة التى لاحت فى عينيه ــ وبدا منها كانسان مطارد .

وما لبث أن وقع بصره على زجاجة الشراب نصف المتلئة ، كأن عقله الآن يتحكم فيه . فانتزع سدادتها ــ ومضى الى اناء لغسيل الأيدى بالقرب منه . لكنه أدرك على الفور أنه ليس له بالوعة ، وان اشتهاء الشراب سيعاوده بمجرد أن ينحسر عنه هذا التعقل . ففتح النافذة وأفرغ الزجاجة فى الطريق ــ مفضلا ذلك على المخاطرة بلعق الشراب من الاناء كالقط لو صبه فيه . ثم ألقى بالزجاجة فى سلة المهملات . وعندئذ ــ سمع طرقا خفيفا على الباب . ثم بدا المقبض يدور . فقفز اليه مغتبطا بأن لويز قد عادت ، وأنها ستراه وقد ارتد اليه عقله ــ مستعدا لأن يجمع خيوط حياته من حيث خلقها .

ــ لويز !

لكنه توقف فجأة . كل عصب فيه تشبع بصدمة مراى ريجينا بدلا من لويز . انسلت الى الغرفة وهى تبتسم على استحياء . اصبعها على فمها تطلب اليه أن يبقى هادئا . ثم أغلقت الباب وهمست :

ــ هانذا .. أخيرا .. هل يئست من حضورى ؟

نظر اليها دون أن يحاول اخفاء مااعتراه من صدمة وخيبة امل مريرة .

ــ يئست من حضورك ؟ .. لقد نسيت كل شىء عنك !

فاتسعت عيناها .. وولى حذرها .. وقالت فى شبه صيحة :
ــ نسيت ماذا ؟ !

اعتذر لها بعد أن أتيحت له لحظة استرد فيها رباطة جاشه . وقال بصدق :

ـ معذرة اذا كنت قد أسأت اليكَ . لكن .. مشروعاتى تغيرت .. اننى سأرحل التو واللحظة .

ـ انت سترحل ...

ولم تستطع اكمال عبارتها اذ فتحت فمها من الدهشة ـ ثم استطردت .

ـ ماذا دهاك .. منذ ساعتين كنت تريدنى .. والآن .. الآن قد تغيرت تماما !

ـ هل تغيرت ؟ .. آمل أن يكون ذلك الى أحسن !

كان النقاش قاسيا ، ولم يكن فى المستطاع تخفيف حدته باطالته .. فتحرك صوب الباب وقال :

ـ وداعا يا ريجينا .. واشكركَ .

أعد نفسه لسيل لعنات تفمره . لكنه لم يكن مستعدا لنظـرة الخوف التى لاحت منها نحو النافذة لغير سبب ظاهر . وعندما تحولت أمسكت بيده التى كانت على مقبض البـاب وقالت وهى تنتحب والدموع تملأ مآقيها .

ـ كنت اعتقد أننى أعجبك !

ـ لكننى فعلا معجب بك يا ريجينا .. معجب بك كثيرا ..

وتوقف مترددا . كان حزنها يبدو صادقا حتى انه تساءل فى ذهنه عما اذا كان قد أساء الحكم عليها .. عما اذا كانت أكثر من مجرد فتاة رخيصة .. فطوق بذراعه كتفها وقال

ـ لاتبكى بحق السماء . اننى آسف ..

وأخرج لها منديله .

ـ جففى دموعك .

فانشجت واهتزت . ودفنت وجهها فى صدره . وجعلت ذراعها حول عنقه وزراعها الاخرى داخل سترته .

ـ هل انت مضطر الى الذهاب الآن .. الا تستطيع أن تنتظر فترة وجيزة .. أرجوك أن تفعلَ .. فترة وجيزة تقضيها معى .

بدأ أورلاك ، بلطف لكن بعزم ، يخلص نفسه من ذراعيهـا .. عندما فتح الباب واغلق بسرعة . ووقف نيرون وظهره اليه يبتسم ـ لكن على نحو لايسر .

ـ طاب مساؤكما .. أو هل يجب أن أقول طابَ صباحكما ؟
قال ذلك واتسعت ابتسامته الشريرة حتى شقت وجهه الطويل الضيق نصفين .
ـ آمل ألا أكون قد جئت قبل الأوان !
أطلقت ريجينا صيحة فزع وشددت ذراعيها حوله وهى تخفى وجهها فى قميصه . وأخذت تصيح بصوت مكتوم .
ـ انه نيرون .. سيقتلنى .. سيقتلنا معا !
تدخل الرجل وقال بهدوء .
ـ حسنا ياريجينا .. تستطيعين أن تذهبى أنت . لايهم الآن أن كنت قد حضرت مبكرا .. سنبحث أمرك بالطبع ـ لكن ثمة أشياء أخرى أيضا أهم منك بكثير .
لم تتحرك ريجينا . بل اخذت تبكى فى رعب .
ـ كفى !
أطلق نيرون كلمته هذه المرة كفرقعة السوط .
ـ اخرسى ! . واخرجى من هنا !
تصلبت بين ذراعى أورلاك ، ثم انسحبت وهى تنظر اليه متوسلة . لكن أورلاك لم يلحظها وهى تفتح الباب وتغلقه وراءها .
قطب جبينه وقال فى تحد :
ـ حسنا ؟ ..
فأخذ الرجل يفرك يديه ، ثم عبر الغرفة والتقط زجاجة الشراب من سلة المهملات وتفحصها . وضعها على اذنه وهزها . ثم وضعها فى مكانها من جديد بهزة أسف من كتفيه ، وقال :
ـ يا للخسارة .. أن النقاش يكون مدعاة للسرور اكثر لو كانت بين يدى المرء كأس .
كان أورلاك قد استطاع أن يتغلب على الهزة التى اعترته بدخول الرجل غرفته ، فى تلك اللحظات التى كان يتحسس خلالها الزجاجة . فقال بنفس نبرة التحدى
ـ لو كنت تظن أن فى مقدورك تهديدى لتبتز أموالى فأنت مخطىء أبلغ الخطأ .
طوح نيرون بيديه ـ وبدأت ابتسامته تختفى .

ـ تهديد .. يالها من كلمة يلقيها فنان فى وجه فنان آخر يا مسيو أورلاك !

ـ اذن فأنت تعرفنى .

اخذ نيرون يمضى فى ارجاء الغرفة بساقيه النحيلتين الطويلتين كسيقان العنكبوت .

ـ بالطبع .. اننى أعرف كل شىء عنك كان اهتمامى الأول بك بسيطا .. مسألة .. فلنقل علاقاتك العظيمة مع ريجينا .. لكن الآن .

وبسط يدين برزت عظامهما :

ـ الآن .. كل شىء قد تعقد .. كل شىء أصبح .. أكثر اهمية

لم ينبس أورلاك بحرف ، واستطرد نيرون .

ـ حادثتك المؤسفة .. أوه .. لكم بكيت ذاك النهار عندما شاع انك قد لاتستطيع العزف مرة أخرى !

ـ أشكرك .. لكن .. دعنا من كل هذا . وأدخل فى الموضوع .

تجاهل نيرون مقاطعته .. ومضى يتحدث :

ـ لكن من حسن الحظ انك كنت بين احسن يدين .. يدى البروفسور فولشيف .. اننى أعرف يا سيدى كل شىء تجدد معرفته .

ثم اشار الى النافذة .

ـ ان من العسير أن يقفز المرء من شرفة الى أخرى . لكن الامر يستحق اذا كان ثمة أصوات ترتفع فى جدال تتكشف من خلاله أشياء لاتخطئها الأذن .

فانفجر أورلاك .

ـ اذن .. فقد كنت انت !

ـ هل سمعتنى .. آه .. نعم .. اننى اذكر ذلك .. لقد جئت الى الشرفة .. مع المدموازيل .. فتاة جميلة .. إنه لأمر محزن !

ـ دع خطيبتى ولا تقحمها فى هذا الحديث !

ـ خطيبتك ! ..

كان نيرون على وشك أن يبدأ من جديد متناولا لويز .. لكنه ما لبث أن استقر على ضرورة تجنب أى استفزاز ــ فعاد يقول :

ــ بخصوص البروفسور فولشيف .. انه جراح قدير ..

ثم تطلع الى أورلاك .

ــ لقد كان من مرضاه أحد معارفى ..

عاد الخوف يتملك أورلاك . حتى هذه اللحظة كان يشعر ببرود وتعقل .. ينفذ خطة متعمدة ليعرف بالضبط مقدار معلومات نيرون قبل أن يتخذ أى إجراء . لكنه الآن بدأ يشعر بروح التعقل تفارقه من جديد .

هز نيرون رأسه فى أسى :

ــ مسكين لوى .. مسكين فاسير !

ــ فاسير !

اندفع أورلاك نحوه وامسك به من سترته ــ لكنه سمر فى مكانه عندما لاحت فى عينى الرجل النحيل نظرة تحديق مثبتة عليه . فخلى عنه ذراعيه .

ــ هل تسمح أن تؤدى لى معروفا يامسيو اورلاك .

فقال أورلاك فى نبرة خشنة .

ــ ماذا ؟

فتراجع نيرون قليلا ، ثم رفع ذراعه المعروقة :

ــ اسمح لى .. تكريما لذكرى صديقى المسكين فاسير .. أن أصافح يديه !

ران على الغرفة صمت قاتل .. لم يكن ثمة صوت خلا أنفاس أورلاك وهو يحدق فى أعماق تلك العينين اللتين كانتا فى قوة عيون المنومين . اخذ عقله يجاهد للسيطرة ، يكافح وحبات العرق تجرى على وجهه من أجل أن يتجاهل تلك القوة التى سمرته فى مكانه .

ثم رأى ــ لفزعه ــ يده اليمنى ترتفع من تلقاء نفسها لتلتقى بين نيرون . لكن .. قبل أن يحدث الالتقاء .. ارتفعت منه صيحة

هستيرية .. واختطف يده وكورها فى قبضة محكمة واهوى بها على فك نيرون .

تنفس الصعداء وهو يلمح العينين القاهرتين تلمعان ، ثم تميل الرأس على جانب . ويتراجع نيرون وقد اختلت حركة يديه وساقيه .. كساقى دجاجة اعتصر عنقها .

عنقهـا ؟ !

تطلعأورلاك الى يدى فاسير ..وهما ينبسطان وينقبضان .. تعتريهما الرغبة فى الانقضاض على عنق الجسم الممدد على الأرض. ثم اغمض عينيه وتلمس طريقه الى الباب . كان عندئذ يحاول الهرب من الفرفة عندما اصطدم فجأة بريجينا ـ عند عتبتها .

ـ ماذا حدث ؟

ـ تعالى شاهدى بنفسك !

صاح بعبارته ، ثم أردف وهى تلقى نظرة فى الداخل .

ـ لاتقلقى .. انه لايزال حيـا . كنت سأقتله .. لكننى لم أفعل .

انتابتها رجفة ، ثم تحولت صوبه بوجه ممتقع .

ـ كنت أتمنى ان تفعل .. آه يا سيدى لو كنت فعلت .. اذن لتغير كل شيء بالنسبة لى .. ولاستطعت أن أبقى معك !

صوب نحوها نظرةدهشة ، ثم هرول بجوارها ..عبر الدرج. واخـذ يصيح .

ـ مدام اليبرتى .. مدام اليبرتى !

فبرزت المراة البدينة على الباب الذى يقع فى مؤخرة المكتب وتطلعت بفضب صوب الدرج .

ـ من الذى يصيح هكذا بكل هذه الضجة ؟

ثم غيرت لهجتها بسرعة عنـدما لمحته .

ـ آه .. انت يا مسيو ستيفن .. معذرة .. كنت اظن ..

ـ لا عليك !

اخرج حافظته وقال وهو ينتزع منها ورقتين :

ـ انني راحلٌ . الآن على الفور .. هلّ يكفي هذا .. والويسكي أيضا .. اذن طاب مساؤك ! !

وعدا عبر الطريق الى سيارته ، وقفز الى داخلها . ثم ادار المحرك . ورفع قدمه بغتة عن ضابط السرعة عندما تذكر أن وقوده قد نفد .. وأنه لابد من أن يسير برفق الى أن يعثر على جاراج .

سار على قدر خمسة وعشرين كيلو مترا فى الساعة .. فى حين أخذ يتطلع عبر لافتات النيون فى جانبى الطريق الذى كان يمتد طويلا بغير نهاية .. وكان لايفتأ يتساءل .. ماذا دها أهل مارسيليا هؤلاء .. هل يستخدمون الهواء وقودا لسياراتهم ؟ أو هل ياترى يسيرونها ببدالات كالدراجات ؟ !

انبعث من محرك السيارة صوت ينبىء بقرب توقفها . تطلع الى ساعته فألفاها الرابعة الا عشر دقائق . لاعجب أن لم يجد أثرا لسيارة عابرة . ولعلها تكون معجزة اذا وجد الآن احدى محطات البنزين مفتوحة .

وعلى حافة منحدر خفيف توقف المحرك تماما ، فسب ولعن .. ثم ترك السيارة تنحدر من تلقاء نفسها فيما بدا له ظلاما دامسا .

ومن بعيد ، لمح ضوءا خافتا ، فجعل يميل على عجلة القيادة كأنما بذلك يدفع السيارة الى المسير لأطول وقت ممكن . لكنه كان يدرك أن عجلاتها قد شرعت تبطىء ــ كذلك كان اقتراب الضوء بطيئا حتى ليوشك أن يستغرق دهرا بأكمله .

واخيرا . وجدها لدهشته لافتة تنبىء بوجود محطة لسيارات الاجرة ــ تعمل طول الليل . فتوقف على بعد أمتار من الفناء ومن ذلك البناء الحجرى الصغير الذى جلس فيه عدد من السائقين حول مائدة يحتسون القهوة .

تقدم من البناء ــ واطل برأسه داخله .

توقف السائقون عن الحديث . ووضع أحدهم بعض أوراق اللعب امامه مقلوبة ، ونهض قائلا :

ــ اين تريد الذهاب ايها السيد ؟

ـ لست فى حاجة الى سيارة أجرة .. لكننى فى حاجة الى بترول . لقد نفد وقود سيارتى .

فتفحصه الرجل من رأسه الى قدميه ، وبصق فى ركن ، ثم قال ضاحكا .

ـ لقد حضرت الينا اذن من أجل الوقود .. تطلب الينا فى منتصف الليل أن نعطيك بترولا حتى تستطيع أن تسير بسيارتك وتضيع على سياراتنا فرص العمل ؟ !

وبصق من جديد ثم أردف :

ـ لو كانت لدينا حكومة مخلصة ، لكانت قد سنت قانونا يمنع جميع السيارات الخاصة من المسير .. لانها تسرق ...

فتدخل سائق آخر وانتهره :

ـ اسكت يا أنطون ..

ثم تحول الى أورلاك وقال فى شبه اعتذار ؛

ـ ان انطون من الفوضويين أيها السيد .. لاتلق اليه بالا .. كان بودنا أن نساعدك .. لكن .. ليس لدينا وقود .. لن يكون لدينا قبل الصباح . كل ماعندنا فى خزانات سياراتنا .

ـ ساضاعف لكم السعر .. بل وأكثر من ذلك .. لو نقلتم لسيارتى بعض ماعندكم .

كان العرض مغريا .. حتى انطون بدا له الأمر كذلك . لكن سائقا ثالثا تدخل ..

ـ من المحقق أننى رايتك من قبل أيها السيد .. فى مكان ما .. على خشبة المسرح .. أو عند ابن عمى فى التليفزيون .. أليس كذلك ..

وسرعان مافارقته لمحة التساؤل ـ وبدا متيقنا ، فضرب بقبضته راحة يده وهتف .

ـ أنت ستيفن اورلاك . عازف البيانو .. أليس كذلك ؟

فاوما اورلاك وقال :

ـ ستيفن اورلاك .. عازف البيانو البارد بغير وقود !

فدفع أحد السائقين نحوه قدحا من القهـوة التى يتصاعد بخارها وقال :
ـ بارد ؟ .. نستطيع أن نساعـدك فى ذلك بشيء من حرارة القهوة .. أما فيما يتعلق بالبترول .. ف ....

ماراءيك يا انطون ؟

فاسهم الفوضوى هنيهة وجعل يتنقل ببصره من وجـه الى آخر حتى أكمل حلقة الوجوه حول المائدة ، ثم وضـع (لفاعة) حول عنقه وقال :
ـ أوافق من اجل عازف بيانو .. ومن أجل ستيفن اورلاك انا مستعد لحرق مبادئى !

ثم اردف :
ـ فليأت احدكم بخرطوم المطاط .. سنبدأ بخزان سيارتى .. أين سيارتك يا سيدى !

واشتركا معا فى دفع السيارة الى الفناء ، فى حين كان السائقون منهمكين فى تثبيت خرطوم المطاط بالخزان .

شكرهم أورلاك بحرارة . واخرج لهم حفنة من الاوراق المالية
ـ اليكم .. هذه ثلاثة أضعاف القيمة .. لانكم تستحقونها .

فأخذ منها أنطون ثمن البترول ورد له الباقى قائلا :
ـ من ذا أشار الى مثل هذه الأسعار الخيالية ؟ !
ـ لكن ..
ـ خذ نقودك أيها الرجل .. والا أخذنا بترولنا من جديد !

فتبسم اورلاك .. وركب سيارته ، وعاد أدراجه فى الطريق الذى جاء منه .. وما كاد يخلف وراءه شوارع مارسيليا ، حتى شعر بمعنوياته ترتفع . اللعنة على نيرون ! ليذهب الى الجحيم !. والى الجحيم ريجينا ايضا . لكنه مالبث أن عقد ما بين حاجبيه . لا .. ان ريجينا ضحية مثله !

كان سلطان نيرون قد زايله . كان للظلام والخوف قوتهما طالما أنه لم يكن يعرف الحقائق .لكنه عرف الحقيقة الآن ـ ومهما كانت

هذه الحقيقة فهو يستطيع أن يواجهها ويكافحها . تطلع الى يديه القابضتين على عجلة القيادة ، وصاح فيهما :

ــ حسنا ! كنتما يدى فاسير .. لكنكما يداى الآن ! لقد ولت أيامكما فى خنق الناس !

ضحك منهما ثم صاح من جديد وهو يضحك .

ــ ستشقان الآن طريقكما فى كل معزوفة أعرفها !..ستعجبان بهذا العمل الجديد .. ساروضكما ، كما يفعل المروض مع الأسود فى السيرك !

كان ضوء النهار قد بزغ . وبدأت الحركة تدب فى الطرق . ربات البيوت ظهرن على الأبواب . والأولاد على دراجاتهم بحزم الصحف . دار بالسيارة من طريق الكورنيش الى الشارع الجانبى الذى يؤدى الى الفيلا . ثم تذكر ان الوقت لايزال مبكرا .. فسار بخفة الى الباب .

وقف يتطلع الى الحديقة . فلمح أنجى يخرج الى الشرفة يحمل سلة يمض بها صوب زراعة الخضروات وأحواض الفراوله.

دلف الى الداخل دون أن يشاهده أحد .كانت حجرة الصالون تبدو كما غادرها . لكنه الآن كان يتطلع اليها بنظرة مختلفة ، قد زايلها الخوف والغموض اللذين كانا يطاردانه من قبل . مال على البيانو الذى كان لايزال مفتوحا .. منذ عزف عليه ارضاء للويز .. منذ ليلتين .

ليلتان فحسب ؟ . لو كان الوقت يمر طبقا لاحساساته ــ لكانت هذه النوتة الموسيقية قد اصفرت بفعل الدهر الطويل الذى مر عليه . ولكانت مفاتيح البيانو قد اختفت تحت طبقات من الغبار .

جلس ومس أصابع البيانو برفق . ترك الانغام تتحول الى لحن تلقائى .. مجرد نغمتين تنطقان باسم لويز .

ثم أدرك فجأة أنه لم يعد وحده . حول وجهه وأصابعه لاتزال تعزف اسمها ، فوجدها واقفة فى باب حجرة نومها ــ يداها مبسوطتان نحوه ــ ودموع السعادة تجرى على خديها .

ـ انه لشرف عظيم يا مسيو اورلاك .

تطلع اورلاك الى وجه العمدة ـ وتحقق من انه صادق فى تحيته . كان الرجل القصير يبدو مزهوا بالدور الذى يقوم به ـ يكاد ينفجر حرصا على اتمام الحفل .

اخذ اورلاك يعبث فى جيوبه بحثا عن الخاتم . واوشك أن يعتقد انه ارتكب الخطأ المألوف . وهو نسيان خاتم الزواج فى سترة اخرى .

كان تائها عن الكلمات التى تتردد ، لكنه استطاع فى اللحظة المناسبة أن يلمح اشارة العمدة ـ فوضع الخاتم فى أصبع لويز .

ـ السجل يا سيدى .. هذا التوقيع الأخير وينتهى كل شيء

ـ أشكرك يا سيدى .. والآن يا مسيو أورلاك .. هل تسمح بأن أزجى تحيتى الى السيدة بالطريقة المعتادة ؟

أعيت الغبطة لسانه عندما لمح وجه لويز ينطق بالسعادة ؟ فأومأ موافقا ـ وتبسم عندما قبل الرجل القصير لويز على وجنتيها ـ قائلا :

اتمنى لك كل السعادة ياسيدتى .. وأنت أيضا ياسيدى . ان هذه قرية صغيرة قلما يقع فيها حدث هام . ولذلك سيخلد هذا اليوم فى ذاكرة الجميع .

فانبرى صوت يقول :

هذا حدث سيتردد صداه الى ابعد من القرية يا سيدى العمدة ..

كان ذلك صوت الوصى على لويز . تقدم وقبلها وصافح أورلاك قائلا :

ـ أقدم لك تهنئتى يا ستيفن .. على كل شيء .. لا اكتمك انه انتابنى القلق عندما أبرقت الى لويز بالحضور .. فليس من المعتاد أن يبرأ المرء عاجلا اذا وقع له حادث كالذى وقع لك .. كانت الشكوك تساورنى ، لكن هذين اليومين الأخيرين ..

ثم قضب عبارته وقال :

ـ .. ارجو أن تعنى بها ..

ـ لاتدع هذا الامر يقلقك يادكتور كوشران .. لو شعرت في نفسي بأى شك كنت فضلت الانتظار .. ان لويز تعنى الكثير بالنسبة الى . ولا يمكن أن اسمح لنفسى بالمخاطرة والأمر كذلك .

بدأت الجماعة الصغيرة التى جاءت لشهود الحفل تنصرف الى سياراتها ، فتناول أورلاك ذراع عروسه ، وخرجا فى ضوء الشمس . وعندئذ انهمر عليهما فيض من نثار الورق الصغير ـ من حيث لايدريان ـ كالعادة المألوفة بعد عقد الزيجات . وجاء أنجى يعدو من مكان أقرب سيارة ، ينادى لويز .

ـ نعم يا أنجى .

حولت لويز الى الرجل العجوز وجها يشع بالابتسام . فبرق وجهه من السرور .

ـ هل لى أن أطالب بحقى يا سيدتى .. حق أكبر خدمك وتابعيك .

فأحنت له لويز وجهها . فأمسك بيديها وضغطهما ، ثم وضع قبلة على كل وجنة . وتحول ليتناول يد أورلاك فى قبضة قوية مفاجئة .

ـ لا يمكن أن أكون أكثر سعادة مما أنا فيه اليوم أيها السيد !

طافت بذهن أورلاك لحظة قصيرة ذكرى هجومه الوحشى على الرجل العجوز قرب قبرميشو . فغمغم فى دهشة :

ـ أحقا تقول ذلك لى ؟ .. اذن فأنت من خير الرجال الذين قابلتهم فى حياتى !

قاد أورلاك السيارة الى الفيللا ـ ولويز بجواره ـ عبر مشاهد ريفية بدت اليوم مفعمة باللون والجمال أكثر من قبل . كان ثمة حفنة قليلة من الناس فى الشرفة . فلم يكن اذن حفل استقبال بالمعنى المفهوم . لكن العمدة أبى الا أن يرفع نخبه بطريقة رسمية ـ كأنما المكان مكتظا بالناس الى أطراف الحديقة .

فضحكت لويز لكن أورلاك وخزها .

ـ صه ياحبيبتى .. لئلا يسمعك !

فحولت وجهها جانبا ـ تتظاهر بتسوية الخصلة الشقراء

الثائرة التى كانت لاتفتأ تنزلق على جبهتها . وأحس أورلاك بكيانه ينتفخ زهوا بتقاطيعها الحلوة ـ التى بدت كأنما قد نحتها مثال . واخذ يتطلع الى جسمها الرشيق ـ جسم المرأة التى أضحت امراته فجاة بجرة قلم فى قاعة قرية مغبرة .. وما لبث أن وجد نفسه يعض شفته ليمنع ضحكها من أن ينتقل اليه وهى تميل على كتفه قائلة :

ـ لا أستطيع أن أمنع نفسى من الضحك .. لقد جعل حدث زواجنا فى مثل ضخامة هزيمة الألمان وبناء برج ايفل ! والآن يقول انها مناسبة يقيها الذكريات ، مثل افتتاح سوق جديدة للماشية !

ثم قبضت على يده وهى تهتز من الضحك :

ـ اننى فى انتظار مقارنة زواجنا بمعرض باريس الكبير .. عام ١٩٢١ !

فبرقت عيناه كأنه ينتهرها مغضبا .

ـ لاتكونى وقحة .. على الأقل ليس الآن ؟

لم يتمكنا من حمل العمدة على الانصراف الا عند حلول الظلام . فسار يترنح من فرط ما اكتظت به معدته من شراب . وهو يهزى بثرثرة عن الأطفال الكثيرين الذين ستنجبهم لويز ليكونوا شرفا للقرية .. وكان لايزال يتحدث حتى عندما انطلقت به سيارته الصغيرة المعفرة فى الطريق الذى بدات تلمع فيه أولى الأضواء ..

وما لبثا أن شاهدا سيارة تاتى فى اتجاههما وهى تمرق بجوار سيارة العمدة . فتطلع الدكتور كوشران ، الذى كان معهما ، الى ساعته قائلا :

ـ آه .. ها هى السيارة التى ستحملنى الى المطار .

ثم نظر اليهما بوجه ساذج برىء ـ حتى أوشكا أن يعتقدا بصدقه عندما قال :

ـ .. الا اذا فضلتما أن أبقى .. ان لدى عددا من المرضى يجب أن أستقبلهم فى لندن غدا .. لكن تابعى فى العيادة يستطيع بالطبع ان يؤجل المقابلات .

لوحت لويز بقبضتها فى وجهه وقالت فى هذر .

ـ انت وغد عجوز لا قلب لك ! لعلك أيضا تأتى للسكنى معنا على الدوام لو نطقت بحرف واحد يشجعك !

فحمل وصيها حقيبته ومضى الى السيارة وهو يتطلع مخاطبا القمر فى السماء :

ـ هكذا الجيل الجديد ! لايحبون الكبار ولا يحترمونهم ! .. كنت أظن انك ستفضلين بقائى معك حتى المساء ..

فقطعت لويز عليه عبارته وهى تطوق عنقه بذراعيها :

ـ يا عمى العزيز .. ليس ثمة من كان يفضلك وصيا على طيلة هذه السنين . ولن نهمل أبدا من شانك . آذا ضربنى ستيفن فسأهرع اليك على الفور !

.. وعندما تحركت السيارة بالدكتور كوشران .. عادت لويز الى حافة الشرفة .. وصعدت الدرج ببطء ، الى حيث كان أورلاك واقفا .

ـ حبيبتى !

ـ ستيفن !

وتعلقت به بشدة ، فتساءل عما بها .. لكنها مست شفتيه بشفتيها :

ـ لا شىء .. يا اعز مخلوق لدى .. اننى مجرد فتاة على وشك أن .. أمر غريب .. لم أكن أخشى ذلك من قبل . أما الآن ـ فاننى أشعر بنفسى كتلميذة صغيرة مع اننا قد صرنا زوجين شرعا .

ثم ارتعدت شفتاها وقالت :

ـ ستيفن .. يجب أن تكون رقيقا معى .. ولو فى البداية ..

فأومأ براسه ، وقادها الى الداخل وهو يقول :

ـ يجب أن نكون رقيقين احدنا مع الآخر

ـ اعزف شيئا يا ستيفن من اجلى .

فضحك وقال :

ـ ليس هذا ما تزوجتك من اجله ..

فربتت على رأسه من الخلف وقالت :

ـ هل ستبدأ متاعبي معك منذ الآن ؟ اعزف شيئا بسيطا .. بعض هذه الألحان التي كنت اسمعها منك عند ماتقابلنا لأول مرة .

جلس الى البيانو . وترك يديه تمران على المفاتيح .. كأنما ينتظر أن توافيه النغمة التي تعجبه .. وعندما بدأ .. دق جرس الباب ، فقالت لويز ـ وهي تتأوه :

ـ أوه .. كلا .. لا زوار .. ليس الليلة !

فتبسم لها وهتف .

ـ بل نعم .. سيكون هذا القادم هو السيد العمدة وتعسة ناظر المدرسة ـ ولجنةالسيدات العشر ـ وعدد من الزجاجات .. ليشربوا جميعا نخب صحتنا !

نقر انجي على الباب ، فدعته لويز الى الدخول في يأس .

ـ هذه برقية للمسيو اورلاك يا سيدتي .

فتنفست لويز الصعداء ، وشكرته ، لكنه تساءل .

ـ هل أنتظر ياسيدتي .. ان الرجل لايزال في الخارج .. اذا كان هنــاك رد ..

فابتسمت له لويز .

ـ لن نرد على شيء الليلة يا انجي .. لابرقيات ولا شيء آخر .

وضعت البرقية دون أن تفضها على البيانو بجوار اورلاك . فالقى عليهــا نظرة دون أن يتوقف عن العــزف وطلب منها أن تفتحها . ففضت المظروف واشرق وجهها .

ـ توقف لحظة يا حبيبي .. انها مهمة .. انهـا من موريس سيدمان في لنــدن . انه يريدك أن تقيم سلســلة من الحفـــلات الموسيقية في آخر الشهر القادم . اثنتان في لندن وواحدة في كل من مانشستر وادنبرة وبلفاست ودبلن .

ـ أوه ..

ماذا بك .. ما بالك ؟

ـ هل تعتقدين أنني مستعد لذلك .

فتقدمت صوبه وقالت .

ـ بالطبع يا حبيبى .. انك لم تعزف من قبل افضل مما تعزف الآن .. ثم انك يجب أن تبدأ من جديد يوما ما .
ووضعت كلتا يديها على كتفيه .
ـ سيكون كل شىء رائعا يا ستيفن . سنستأجر شقة مفروشة فى لندن . سأقوم بكل عمل البيت وسأتولى الطهى من اجلك .
ثم اهتز جسمها من الضحك
ـ سيكون ذلك كله مسليا . لقد حان الوقت يا ستيفن لتعرف أى فتاة تلك التى تزوجتها . لن نكون يا ستيفن فى حاجة الى مخلوق لو شئنا ذلك !
شعر ببصرها يتفحص وجهه . وعاد من جديد يمر بأصابعه على مفاتيح البيانو وهو يبدو ساهما . ثم انصت بعد أن كف لصدى النغمة وهو يبتعد .
ان الرجل ينتظر الرد يا حبيبى .. سيكون ردك بالايجاب .. اليس كذلك ؟
طوح راسه الى الوراء ونظر اليها من قدميها الى راسها .
ـ أيتها الصغيرة المضحكة ! الا تذكرين انك طلبت من انجى أن يصرف الرجل .. انه لن تكون ثمة ردود الليلة !
ـ نعم أعرف ذلك .. لكن .. لم أكن أعلم يا حبيبى أن البرقية تتضمن شيئا كهذا .. دعنى أرسل برقية بالايجاب ، أمليها بالتليفون .. أرجوك يا ستيفن .
تبين فجاة قوة عزمها وتصميمها ، فاذعن .
ـ حسنا يا حبيبتى . ان الرد هو بالايجاب طبعا . اذهبى وارسليه على الفور .
وعندما تحولت الى الباب ، شعر فجاة بانه لم يعد فى مقدوره الانتظار . احس انه انتظر لويز طيلة حياته . فهتف :
ـ لويز ..
استدارت نحوه وهى عند عتبة الباب :
ـ نعم يا ستيفن .
عرف من همستها أن التلميذة قد ولت ، وحلت مكانها امرأة ناضجة .. راسها ممتلىء بالافكار التى تدور فى راسه :
ـ عجلى بالعودة !

تمدد أورلاك على الشاطىء . الشمس فى ظهره ونسمة المساء المالح فى انفه . كان هذا هو اليوم الثامن . بقيت ثلاثة ايام قبل الذهاب الى لندن . ثلاثة ايام أخرى من الكسل والدعة والمتعة والاسترخاء الكامل . لا شىء يصله بالواقع أكثر من نصف ساعة يقضيها فى المساء يعزف على البيانو ــ يعقبها اذا شاءت لويز لحن من تلك الالحان البسيطة التى يؤلفها عفوا وهو يعزف .

نادى لويز . كانت تجلس على صخرة فوق راسه ببضعة اقدام . امامها دفتر رسم قد اسندته الى ركبتيها . فى حين قطبت ملامحها فى اهتمام وهى تحرق فى البرج الحجرى المكسور الذى كان يقف على حافة منحدرة عالية .

ناداها مرة اخرى ، فأرسلت على ظهره سيلا من الرمال ، وقالت :

ــ عد الى النوم يا حبيبى .. كيف يكون حالك لو اننى تدخلت أثناء حفلتك الموسيقية القادمة .. وصحت باسمك منادية وانت توشك أن تعزف أحد الالحان العسيرة ؟!

انقلب على ظهره ليواجهها ..

ــ اذن .. فسيكون فى عائلتنا فنانان حادا المزاج ' أنت تعلقين عليك الاستديو الذى غطيت جدرانه باللوحات .. وتشرعين فى تقليد بيكاسو ؟!

ــ تقليد بيكاسو ؟!

ــ هذا ما قلته .

قال ذلك ورقد على ظهره وهو يبتسم لها .. ويتوقع أن تأتى بحركة ، وهو يتطلع الى أطرافها الناعمة .

وما لبثت أن قفزت بجانبه ــ بقوة ومفاجأة لم يستطع معهما أن يتباعد . فأمسكت معصميه بيديها اللتين لطختهما الالوان .. وجعلت تلهو معه وهى تصيح :

ــ هكذا .. أيها الوحش .. تقول ذلك لمجرد أننى مبتدئة .. لست شهيرة ..

فامسكت الشريط الذى يربط الجزء الاعلى من ردائها البيكينى

وهو يضحك .. وهم بجذبه . فضحكت بدورها وانحنت لتحك انفها فى انفه ، وقالت :

ـ انك لم تفعل شيئا ..

ـ لكننى أستطيع .

ـ ماذا تستطيع أن تفعل . اننى أمسك بمعصمك الايسر . ولن يجديك أن تدغدغ ظهرى بيدك اليمنى لأترك معصمك .. لأننى لن اتأثر !

فحول أورلاك راسه وتطلع الى الشاطىء ، ثم قال :

ـ اترين هذا الرجل البدين القادم مع كلبيه .. الرجل الذى يسير فى اتجاهنا ؟

ـ نعم .. ما شأنه ؟

ـ فى خلال نصف دقيقة سيحاذينا تماما .. هل تعلمين ما يمكن أن افعله عندئذ .

فهزت رأسها بالنفى وهى تبتسم .

ـ فى يدى اليمنى الشريطان اللذان ..

فلم تتركه يتمم عبارته المفهومة ..

ـ أيها الوحش .. أيها الوحش القاسى المنتقم !

لكنها كانت تضحك وتهتز بشدة .. فاضطر الى أن يترك الشريطين حتى لا يجذبهما عفوا من فرط اهتزازها . وعندما احست بذلك افلتت منه وتباعدت .. وجعلت تتقلب على الرمال الدافئة لتترك مسافة بينها وبين اليدين اللتين امتدتا اليها .

لكنه كان أكسل من أن يفعل أكثر من ذلك . فجلست وشعرها الاشقر يتماوج ، فى حين هزت فى وجهه قبضتها وصاحت :

ـ سأسابقك الى البحر !.. من يتأخر يشترو للآخر ايس كريم!

قفز من مكانه وهرول صوب البحر .. كانت لويز تعدو امامه وهى تضج بالضحك لانها نجحت أخيرا فى حمله على القيام . ولحق بها قبل مسافة المياه بعشرة أمتار ، ثم أمسك بها من رسغيها وجرها الى البحر .

لكنها في البحر تغلبت عليه ! استطاعت أن تتخلص من قبضته عندما بلل الماء ذراعيها وصار من العسير الامساك بهما .. ثم اندفعت في المياه واخذت تلهو بقدميها فتنثر الرذاذ عليه . فوقع عليها وهو يحاول الامساك بعقبيها . لكنها راغت منه كالايل .. وجاوزته سباحة بضربة ذراع .. وتحركت الى مسافة منه وجعلت تتناول الماء في راحتيها وتقذفه في اتجاهه ..

تظاهر بأنه يئس من ملاحقتها ليغريها بمتابعته وهو يخطو عائدا ادراجه .. ليقف على الشاطىء ينظر الى أعلى الصخرة وقد جعل يده فوق عينيه ليقيهما وهج الشمس ، لكن لويز لم يغرها ذلك ، فسبحت على ظهرها .. على بعد ثلاثين مترا من الشاطىء .. الى أن يئس تماما من المحاولة فاتخذ طريقه الى حيث تركا مناشفهما .

كان دفتر الرسم على الرمال حيث سقط عندما قفزت لويز .. فالتقطه ونفض الرمال عن الصورة . كانت فجة ، لكن مفعمة باللون والحياة . وكان البرج يميل بجنون على طرف الصخرة ـ أكثر منه في الحقيقة ، قد استحالت أحجاره الرمادية الى لون قرمزى صارخ يخطف البصر . لكنه ظل ينظر الى الصورة رغم ذلك ـ بحب واعجاب لأن لويز وضعت فيها كثيرا من حيويتها وحماستها .. وشعور السعادة الذى جذبه اليها من بادىء الأمر .

لمحها بطرف عينه تخرج من الماء وتتقدم صوبه . فأغلق الدفتر ووضعه فوق الصخرة الصغيرة بجانب الالوان وهو يقول :

ـ لا بأس به .. انه لم يتلف .. كان ملوثا بالرمال فحسب ..

فلوحت له وغيرت اتجاهها :

ـ سأحضر الايس كريم !

فصاح بها :

ـ النقود .. انتظرى لحظة !

وأخرج من جيب بنطلونه المطوى حفنة من العملات الصغيرة ؟ وعدا نحوها ، فاستقبلته قائلة :

ـ لماذا لا تذهب بنفسك يا حبيبى .. وأنت منطلق بكل هذه الطاقة !

فتناول ذقنها باصبعيه ورفع وجهها اليه . فاقتربت منه .
وكان طعم الملح فى شفتيها .

ـ سأذهب بالطبع .. اذهبى أنت وأتمى صورتك . اننى احب هذا البرج القرمزى !

ـ قرمزى ؟!

خلت بينه وبينها . وضربت بقدمها الأرض فى غضب :

ـ انه ليس قرمزيا .. انه رمادى !

ـ اذن .. القى نظرة عليه فى الظل ..

قال ذلك ومضى صـــوب الطريق الذى كان يحـــاذى طرف الشاطىء . ثم لوح لها بينما كانت ترتقى الصخرة .

كانت الشمس تسطع على أسقف منازل القرية . والابقار ترعى الحشائش مثقلة الأجفان بالنعاس . شعر براحة ورضا لم يسبق أن احس بهما . رضا بحياته الجديدة مع لويز . لويز التى اجتمع فى كيانها شخصان : امراة تستطيع أن تعالج المشاكل وتقف وحدها فى مواجهة الامور ، ومخلوقة صغيرة شقراء ، تستطيع أن تنثر الماء فى وجهه .. وتصبغ الاوراق بالالوان ، فى حماسة الاطفال .

كان يحس التغيير الذى طرأ على حياته . لم يكن يعرف هذا الشاطىء من قبل . لكنه عرف شطآنا كثيرة غيره ، ذهب اليها مع هيلجا . الا انه ما لبث عندما عاود التفكير أن تبين اختلاف هذه الشواطىء عن تلك . فهذا كان شاطئا هادئا ـ شبه مهجور ـ غير معروف .. بعيدا عن سيارات السياح والفنادق الكبرى وصفوف المقاهى الرشيقة بمظلاتها المتعددة الالوان فوق الموائد . هذا شاطىء لا يعجب هيلجا . يلزم امراة مثلها وجود مجمـــوعة من الرجال ليبـــدوا اعجابهم بها . ألوان الشـــاطىء والبر مهمتها أن تظهر جمالها . تبسم أورلاك فى اكتئاب . وهو .. ما دوره ؟ مجرد عائل لها ـ وأن يكون فى الوقت نفسه محكا تتخلص عنده وتمسح فيـه كل ما يساورها من مشاعر الفشل والاحباط والانتكاس .

مر بجوار لفيف من الصيادين يطلون قاربا قد قلبوه على الشاطىء .. حياهم ومضى ـ تلاحقه سحابة من دخانهم .

كانت هى هيلجا التى وترت أعصابه الى الحد الذى أصبح معه قادرا على أن يخدع نفسه .. أن يؤمن بصدق ما حدث فى الجراحة التى اجراها له فولشيف .. أن يشك فى علاقته بمقتل ميشو .. الى أن أطلعه انجى اخيرا على احدى الصحف المحلية ـ وفيها نبأ اعتقال لص من لصوص الفجر .. مع قائمة بالمسروقات التى استعيدت منه . فسأله حائرا عن معنى ذلك . واشار انجى عندئذ الى ثلاث مسروقات فى القائمة وقال :

ـ انها من الفيللا يا سيدى ..

ثم أربد وجهه وتطلع عبر الحديقة قائلا :

ـ هذا يفسر مسألة ميشو المسكين يا سيدى .. لقد أطلق عواء عاليا ـ يشعر معه اى لص بأن من الحكمة اسكاته .. والآن .. يستطيع سيدى أن يهدأ بالا !

أخيرا .. أمكنه أن يتخلص من التوتر والخوف ـ اللذين ظلا يكتنفانه أعواما وهو فى صحبة هيلجا .. ثم زاد الحادث من قوتهما .

تطلع الى الخلف مرة أخرى .. الى لويز الجالسة على الصخرة . لوح لها لكنها لم تره . كان رأسها منحنيا على دفتر الرسم . فتخيل أنها تضع فيه أحجارا قرمزية جديدة .. تزيد من صفرة الرمال ومن زرقة البحر . هذه الوانها التى تكمل اليوم نظرتها الى الحياة . تذكر لقاءهما الاول فى حفل استقبال اقامته السفارة البريطانية فى باريس . مناسبة رسمية قدمه فيها أحدهم الى الدكتور كوشران .. الذى قابل عن طريقه لويز . كانت المسألة مصادفة اكثر منها أى شىء آخر : تناول الشراب فى مجموعة صغيرة .. حديث مؤدب اكتشفا من خلاله انهما سيذهبان فورا الى حفل آخر .. قد دعى اليه كل منهما بمفرده .. فكانت هذه فرصة متاحة ليعرض عليها أن يصحبها .

لم تكن المسألة حبا من أول نظرة . كانت لويز امرأة فاتنة ـ حديثها يسلى .. قد نشئت تنشئة حسنة مهذبة . لكن دائرته كانت تضم عشرات من النساء بهذه الصفات . وكانت صحبتهن تبعث على سروره فى المناسبات الاجتماعية .

لكن ، حدث عندئذ وبينما كانا فى طريقهما الى الخروج أن أمسكت بيده امرأة ذات جرم ضخم وقالت :

ــ مسيو أورلاك ؟ .. لقد حاولت طيلة المساء أن أصل اليك .. لكن فى حفل استقبال كهذا ...

ثم نفخت صدرها .. فكأنما تمثلت فيها صورة ماريان ــ رمز فرنسا ــ لكن على نحو ساخر . وقالت :

ــ أود أن أهنئك يا سيدى على الطريقة التى عالجت بها الموقف فى الغرب !!

ــ لكن .. ؟!

فقاطعت عبارته التى تنم عن دهشة :

ــ لقد كانت طريقة تبعث على الاعجاب . اننى معجبة من زمن بالدور الذى تقوم به بلادك فى سياسة الشمال الافريقى . لكن طريقتك هذه المرة كانت عظيمة . اننى أصر على أن تشاركنى أنا وزوجى تناول العشاء .

ــ لكن .. ؟!

لم يستطع من فرط دهشته أن يتفوه بأكثر من هذه الكلمة .. وازدادت دهشته عندما وجد لويز تتدخل وهى تبتسم للمرأة البدينة ابتسامة ساحرة ــ وتقول :

ــ يجب أن نلتمس منك العذر يا سيدتى . لكن سيادته متعب قليلا ــ ولا بد أن نعود الى السفارة !

ــ انت مع المسيو أورلاك ؟

فأوسعت لها لويز فى الابتسام واستطردت :

ــ اننى أعمل مع صاحب السعادة .. مساعدة له ..

وظلت معه الى أن أدارت المرأة ظهرها وانصرفت .. فدارت اليه على عقبيها وكتفاها يهتزان وعيناها تبرقان من فرط الضحك . وتلاقت أيديهما . فتساءل أورلاك :

ــ ترى أى بلد هذا الذى أتشرف بتمثيله ؟!

كانت لويز عندئذ قد تفحصته كأنما تزن فيه مقدار خصاله الوطنية . ثم تظاهرت ضاحكة بأنها تقطب وجههــا اهتماما .. وقالت :

ـ .. بلد فى مكان ما .. بعيد .. هزيل .. جائع لا اظنك قد تناولت بعد طعاما يا مسيو اورلاك .. اليس كذلك ؟.. اذن .. لو استطعت ان اروغ من عمى الوصى .. لتمكنا من ان نتسلل معا ، على امل ان نلحق بحفلنا قبل أن يأتوا على ما فيه من أطباق !

هكذا بدأ الأمر ، كانت لويز تشهد حفلاته فى باريس ـ احيانا مع الدكتور كوشران واحيانا وحدها . وعندما ذهب الى لندن .. عملت مؤقتا كمضيفة استقبال فى عيادة عمها التى تقع فى شارع هارلى . وفى مدريد طلعت عليه فجأة من حيث لا يدرى ـ فى فندقه ـ كمرافقة رسمية لاميرتين ايرانيتين فى رحلتهما الاولى لاوربا . وفى روما ـ وجدها أيضا حيث وصل ـ تعمل مستشارة تاريخية لاحدى الشركات السينمائية أثناء التقاط مناظر فيلم لها .

وعندما عاد الى لندن ـ سألها ـ ووجهه خلو من كل تعبير :
ـ هل انت تتعقبيننى يامسر تايلور ؟
ـ نعم يا ستيفن .. يا حبيبى .. اننى امرأة ذات ارادة وعزم . لولا طول الوقت الذى يستغرقه طلاقك من تلك الشمطاء السكندنافية .. كنت قد استأثرت بك من فورى !

فنفخ صدره فى هيبة واباء :
ـ يا سيدتى العزيزة .. ان هذه الشمطاء السكندنافية ـ كما يحلو لك أن تصفى زوجتى ـ وأعترف ان فى هذا بعض العدل ـ هى التى شرعت تطلقنى !.. لكننى تواق الى ان تكون أسباب الطلاق هى نفسها التى قدمت بالفعل .. ولا اريد ان تكونى أنت من بين تلك الاسباب . وبهذه المناسبة هل تتزوجيننى !!

وهكذا .. انتهى به الامر الى كشك لبيع الايس كريم فى القرية التى تقع على الكورنيش . تذكر ان لويز تحب نوعا معينا ـ فابتاع بعضه ولفه فى صحيفة ليقيه الشمس .. وعاد ادراجه .

تطلع ليرى لويز وهو لا يزال على مبعدة ، لكنها لم تكن على الصخرة . فمضى الى البحر ، وهو يشرع يده على جبهته ليقى عينيه ضوء الشمس ـ على أمل أن يراها تلهو بين الامواج قرب الشاطىء . لكنه لم يجد لها أثرا . فظن انها أوت الى الظل تحت

الصخرة من وهج الشمس ـ حيث كان راقدا . غير انه لم يعثر عليها ايضا عندما صار المكان على مدى رؤياه . لم يكن هناك سوى كومة من المناشف وبعض صفحات جريدة تخشخش بفعل النسيم .

وانتابه القلق فجأة . استسخف الفكرة ـ لا يمكن أن يحدث شيء على مثل هذه البقعة من الشاطىء . ان لويز سباحة قوية ، ولا بد من استبعاد احتمال تعرضها لمتاعب او احتمال أن يحملها التيار بعيدا .

لكن بالطبع .. لا بد انها ذهبت الى ما وراء الصخرة تتفقد بعض البرك فى الطرف الآخر . عرج على الطريق وجرى على الرمال صوبها .

ـ لويز !

وتوقف ـ ليستطيع أن يسمع ردها . لكنها لم ترد .

فمضى يعدو .. حتى وصل الى المناشف . فالقى بلفافة الايس كريم وصعد الى الصخرة حيث كانت تجلس . وجد دفتر الرسم والالوان لا تزال هناك . كانت قد اكملت رسم البرج . ومن فوقه لاحت سماء ذات زرقة !

ثم توقف قلبه ـ وتجاوز ضربة معتادة .. ذلك انه لمح ضربة فرشاة زرقاء ـ قد امتدت فى السماء الى الشاطىء ـ ولطخت الرمال الصفراء ـ ضربة فرشاة لا يمكن أبدا أن تكون قد جاءت عمدا وقصدا .

لقد حدث شيء للويز ! شيء مفاجىء مزعج . استدار فى مكانه وتطلع الى الجانب البعيد .. حيث البرك الصغيرة تحوطها اعشاب البحر التى اختلطت فيها الصفرة والخضرة . غير انها ايضا لم تكن هناك .

ـ لويز .. اين انت ؟!

وجدها تهرول نحوه فجأة ـ شاحبة الوجه ـ من وراء صخرة أخرى ضخمة قائمة فى منتصف الطريق بين الشاطىء والبحر .

ـ معذرة يا حبيبتى .. لكن لا تختفى على هذا النحو .. لقد ...

ثم توقف عندما لمح شحوب لونها !

ـ ماذا حدث يا لويز .. هل انت على ما يرام ؟
أومأت موافقة :
ـ على ما يرام ما دمت قد حضرت .
ـ ماذا حدث .. ان لوحتك ....
ـ اعلم ذلك . كنت مشغولة برسمها ـ لا ألقى انتباهي لشيء آخر . ولهذا استطاع أن يقترب مني كثيرا . ثم تطلعت فجأة ورايته ـ قد جلس القرفصاء على بعد عشرة أقدام فقط .

ـ من يا حبيبتي .. من ؟!
فارتجفت :
ـ نيرون !
قفز اورلاك على قدميه . لم يعد الشاطيء الآن بقعة وردية . صار مساحة من الرمال مفعمة بالشر .. كل صخرة فيها .. كل ثغرة في صخرة ـ تخفي خطرا جاثما ..

ـ وأين ذهب ؟
هزت لويز راسها .
ـ لا أدري . لقد قمت من مكاني وعدوت .. وعندما تطلعت الى الخلف ، لم استطع أن اراه . لذلك بقيت مختبئة حتى سمعت صوتك يناديني .
ـ انتظري هنا ..

ارتقى المنحدر الذي يقود الى أعلى الصخرة الكبيرة .. ثم نزل .. واخذ يجول بين الحشائش القائمة على البرك ينظر في فجوات الصخر التي تصلح لأن يختبيء فيها أحد . لكنه لم يجد اثرا لنيرون .. ووجد نفسه يرتعد .. تختلط في اعماقه مشاعر الغضب والخوف . ثم نظر الى يديه .

بدا له لاول وهلة انهما عاديتان . لكنه عندما رفعهما لاحظ انهما مقوستان بعض الشيء ـ وان الاصابع تنقبض وتنبسط ـ دون وعي منه .. واختلجت ذراعاه ـ كأنما تحاول يداه أن تجذبا اليها كل الدم الساري في عروقه . وتحول فجأة وعاد الى لويز . ثم قال لها وهو يتصنع المرح :

ـ ان الأيس كريم موضوع بجانب المناشف . سأوافك بعد لحظة . انني أشعر بحرارة .

وجرى الى البحر وانغمس بجسمه فيه . ودلى ذراعيه الى القاع . وشعر بالماء البارد يكافح اندفاع الحرارة والقوة الى يديه . ظل هناك ـ بغير حراك ـ الى أن بدأ يرتعد .. فأخرج ذراعيه ،بعد أن لدعتهما برودة الماء .

وكانت يداه ساكنتين .

- ١٠ -

ثبت أورلاك رباط عنقه امام المرآة فى غرفة الملابس ، بينما كان تابعه يمر بالفرشاة على سترته الهزيلة . وكان يلمح صورة لويز فى طرف المرآة ، تتألق فى رداء ابيض طويل ـ يبرز جمالها الفتان على نحو يخلب الالباب .. حتى انه تاق الى أن يطلق من أعماقه صيحة : فليذهب الحفل الى الجحيم .. ويأخذها الى دفء المسكن الذى غادراه منذ ساعة .

تحول اليها بينما كانت تنظر فى ساعتها .

ـ كم بقى لنا من الوقت ؟

ـ خمس دقائق .

ثم استأذنته فى الانصراف بعد ان داعبت شفتها طرف أنفه :

ـ حظا سعيدا .. يا اعز مخلوق لدى .

ـ تعالى فى الاستراحة .. واخبرينى كيف حال الحفل ؟..

ـ هل أستطيع أن احضر معى عمى فرانسيس ؟

ـ بالطبع .

أخذ يرقبها وهى تخرج . وابتسم لها ـ ردا على ابتسامتها له قبل ان تغلق الباب وراءها . وشرع عندئذ يذرع الغرفة جيئة وذهابا ـ وهو يقصى عن ذهنه كل شىء فيما خلا الموسيقى . يدرب اصابعه على المرانة استعدادا لتلك النقرة على باب غرفته ـ تدعوه الى المثول على خشبة المسرح .

وما لبث أن سمع طرقة على الباب وصوتا يقول :

ـ هل يمكن ان ادخل ياستيفن ؟

ـ بالطبع
فتح التابع الباب لموريس سيدلمان .. ثم خرج يحمل سترة أورلاك الاخرى .
ـ ستيفن ...
أومأ أورلاك برأسه :
ـ انني أعرف ما تقصد .. نعم ـ انني في أحسن حال .
ـ لقد جئت لأطمئن على أن لديك كل ما تحتاج اليه .

ـ وهل قصرت يوما في أن توفر لكل فنان حاجته .. وأكثر من حاجته ؟ ان الشيء الوحيد الذى لا تقدمه هو العرض نفسه .. وفيما يتعلق بذلك فانني ..
ثم قطع عبارته وتساءل :
ـ وكيف الحال في صدر المسرح .. هل ثمة عدد كاف ؟
فبسط سيدلمان يديه :
ـ يا صديقي العزيز .. هـــل انت في حاجة حقا الى هــــذا السؤال ؟ لقد نفدت جميع التذاكر .
فدرب اورلاك أصابعه على الحركة من جديد وقال :
ـ آمل ان أستطيع ارضاءهم
ـ هل تشعر بتوتر ؟
ـ ليس تماما .. وانت ؟
ـ يا عزيزى ستيفن .. لست في حاجة الى ان أشعر الليــلة بتوتر . ان حياة متعهد الحفلات أحيانا تحطم الاعصاب .. كحياة بهلوان يخطو على حبل

ـ لكنها ليست كذلك أبدا عندما تعزف أنت . معـــذرة .. سأعود لآتي بك في خلال لحظات .
ظل أورلاك وحده برهة حتى عاد اليه تابعه . كان يحمل مظروفا طويلا ضيقا .
ـ معذرة يا مسيو اورلاك .. لقد جاء ساع من مكتب البـر بد بهذه الرسالة . ظننت انها قد تكون مهمة .
فألقى اورلاك نظرة عابرة على المظروف وقال :
ـ لست أعتقد ذلك .. ضعها في مكان ما .

فتركها الرجل بجانب المرآة وتساءل :
ـ هل ستكون فى حاجة الي يا سيدى ؟
فابتسم اورلاك :
ـ اذا كنت راضيا عنى ـ فاننى راض عنك . ثم مد ذراعيه .. كأنما يعرض هندامه على الرجل .
ـ هل ابدو لائقا للظهور ؟
فابتسم له التابع بدوره :
ـ ليس هناك ما يدعو الى القلق يا سيدى .. حظا سعيدا .

اخذ يذرع الغرفة من جديد بعد ان تركه تابعه .. يراجع فى ذهنه المقطوعة الموسيقية التى هو على وشك أن يعزفها . وعندما اتم ذلك وداخله الارتياح جلس امام المرآة يسوى لآخر مرة رباط عنقه . ولمحت عيناه عندئذ المظروف الطويل . عليه اسمه مكتوب بالحبر .. بأحرف كبيرة . فالتقطه ووجد جانبا منه يبرز ، كأنما هو مفعم ببضع اوراق لا شك أنها من معجب . فتح المظروف ،

ينتابه فضول الى أن يعرف ما فيه .. واخرج محتوياته .. فاذا بها زوج قديم بال من القفازات القطنية .

نظر اليهما فى حيرة . ثم التقط احدهما . وتفحصه . وعندئذ دهمته نوبة فزع . حتى أن يده ظلت متصلبة ، لاتقدر على أنتقذف بالقفاز بعيدا . كان يتدلى أمامه اسم بالاحرف السوداء .. على بعد قدم واحدة منه « ل . فاسير » .

وسمع طرقة على الباب ، فانتزع نفسه انتزاعا من جموده ـ ودس القفازين فى جيبه ـ بينما كان سيدلمان قد تقدم صوبه .. وابتدره :
ـ حتى أماكن الواقفين قد امتلأت يا ستيفن .. اذا كنت الآن مستعدا ... ف ...

ـ لحظة من فضلك .
كان صوته مغايرا .. حتى انه هو نفسه لم يعرفه . وعبر الغرفة وصب لنفسه قدحا من الماء جرعه دفعة واحدة . ورأى وجه سيدلمان تلوح فيه اللهفة .. ثم شعر بقبضته على ذراعه :

ـ يا للسماء .. انك شاحب اللون .. أراهن انك لم تتناول طعاما منذ الافطار .

ـ لم أتناول شيئا فى الواقع .

ـ هكذا ظننت .. ذلك خطأ كبير . ان الطعام يساعد فى وقت كهذا . أنت تعلم ذلك . تعلم المثل الذى يقول : « تناول المحكوم عليه افطارا دسما ثم سار بخطوة ثابتة الى المشنقة » . ما رايك فى شيء من البراندى ؟ . انه ملائم ايضا للمناسبة .

لكن أورلاك هز راسه :

ـ كلا .. أشكرك .

ـ متأكد ؟ .. اذن هيا بنا .

تقدمه سيدلمان فى الردهة .. ولولا انه فعل ذلك لما عرف أورلاك أين يذهب . كل غريزة فيه كانت تهيب به أن يبتعد .. عن ناحية الباب الخلفى الذى استطاع أن يهرب الى لويز فى تلك الليلة .. ليقع له الحادث الذى به الآن .. هذا الطريق الذى يسلكه خلف صديقه الحميم .. الى حيث يتحطم تحطيما أمام أكبر جمهور شهدته القاعة .

كان الستار لايزال مسدلا على خشبة المسرح . ورأى أورلاك المدير بين الكواليس ـ واشارة خفيفة من سيدلمان أعقبها رفع الستار . واستطاع أورلاك من مكانه أن يلمح أوجه الجالسين فى الصفوف الاولى .. وأخذ يبحث من بينها يائسا عن وجه لويز .

كان الستار قد ارتفع الآن تماما . ورأى أورلاك وجه سيدلمان وقد اعتراه القلق وهو يحثه على المضى .. فاتخذ طريقه كمخمور استقر عزمه على ان يفيق ـ وبسرعة عبر المسرح الى البيانو مباشرة .

يدوى فى أذنه التصفيق الذى انفجر تلقائيا فى القاعة . بدت له خشبة المسرح كبيرة ـ البيانو فى طرفها كجزيرة صغيرة يحاول أن يسبح اليها ضد تيار يعاكسه . وصل اليه أخيرا وهو يشعر أن رحلته قد استغرقت ساعات . كان التصفيق لا يزال يدوى . فتحول الى الجمهور وانحنى آليا .. ثم جلس .

كان يلمح الفنيين من بين الكواليس وقد تجمهروا بدورهم وثبتوا أعينهم عليه . شعر بعقله على وشك الانفجار . وبذل جهدا

هظيما حتى تذكر المقطوعة التى سيعزفها . حرك أصابعه من جديد . ثم تطلع اليها فى خوف عندما وجدها ملتوية بعض الشيء كالمخالب .

بدأ يعزف قطعته المألوفة .. سوناتا بتهوفن « ضوء القمر » . طاوعته الانغام الاولى ، لكن اصابعه كانت متصلبة .. ثقيلة الحركة .. لا سلطان لعقله عليها فيما بدا له . وفجأة .. انبعثت من البيانو نغمة نشاز ، أعقبتها أخرى .. كانت النغمتان الناشزتان شديدتى الوضوح .. حتى لقد نفذتا الى عقله رغم ما يكتنفـــه من هدير واضطراب . أغمض عينيه ونحى من ذهنه صورة البيانو والجمهور .. وحاول مستميتا أن ينحى صورة فاسير . وعندما فتح عينيــه من جديد . كان التركيز قد اثمر . فتطلع الى مفاتيح البيانوبهدف وعزم . وبدأ السوناتا مرة أخرى .

كان قد الف موسيقاها واحبها منذ كان طفلا . لم يكن ثمة داع ليصحب عزفها بفكره . لقد ظل يعزفها لسنوات بمنتهى الثقـة . كان يترك نفسه لها ويدع الباقى للمران الطويل . لـكنه وجد الآن أن لابد من أن يضع فكره فى نغمة .. بقوة تركيز الطفل الذى يحاول القراءة لاول مرة .. والا انبعثت صورة فاسير وحالت بينه وبين الموسيقى ، بدأ الايقاع يزداد سرعة . أدرك أن الجو الشاعرى للسوناتا قد ضاع منه ــ وانه الآن يطرق مفاتيح البيانو بوحشية ــ وان لم يستطع أن يهدىء من ضراوة أصابعه . نظر اليها من جديد . ولم يستطع عندئذ أن يرفع عينيه .. فقد بدا له فى شيء كالضباب أن قفازين من القطن قد احتوتا يديه ــ عليهما اسم فاسير يكبر ويكبر كلما تطلع اليهما .

ازدادت سرعته وضراوته فى العزف ، كأنما عقد عزمه على أن ينهى تلك المقطوعة بصورة مزعجة قاطعـــة .. حتى ليستحيل على من يسمعها الآن أن ينصت اليها بسلام فيما بعد . وفجأة أطلق صيحة ألم ، واستسلم . صفق غطاء البيانو ووقف ــ ثم مضى بعد ان رفع مقعد البيانو من ورائه ، فسقط . وأمامه بين الكواليس كان وجـه ستيدلمان يبدو له من وراء غلالة من ضباب .

ـ ستيفن .. انك مريض .. سأحضر لك طبيبا !

لكنه هز رأسه دون توقف ـ ومضى يتعثر فى الردهة الى غرفته .. ويصطدم بالجدران .. وذراعاه الى جنبيه رخوتان .. لكن يدى فاسير فيهما تنبسطان وتنقبضان بشدة وعنف ـ حتى كانت أظافره تغور فى راحتيه .

وعند باب غرفته توقف . وتناهت اليه أصوات من جاءوا فى أعقابه . فمضى قفزا .. وهو يسب ويلعن بالفرنسية والانجليزية معا . وفتح الباب الى الشارع . فلفحته ريح مثقلة بمطر .. لكنه تجاهلها ـ وخطا على طوار قد خلا من المارة .. صوب الاضواء المتلألئة فى شارعى أوكسفوردوريجنت .. ثم شق طريقه بغير تبصر بين السيارات العابرة تنثر رذاذ الماء فى بيكاديللى .. واخيرا الى وستمنستر كان لا يكاد يدرك الابصار التى شرعت تحدق فى ذيل سترته وهو يضرب برفق سرواله المشبع بالماء أثناء سيره . كان يشعر بالبرد قد سرى فى جسمه حتى نخاعه . لكن قدميه كانتا تحثانه على المضى بنفس القوة التى حاول بها أن يهرب من قبل . لكنه هذه المرة يعرف بالضبط اين يذهب .

مضى يصعد المنحدر الى قنطرة وستمنستر . كانت مياه النهر أمامه قد اكتنفها الضباب . لكنه لم ينظر اليها . كان يكفيه أن يعلم ان النهر هناك . ولو تطلع الآن الى لفحته البـاردة لقل ذلك من عزمه .

وصل الى منتصف القنطرة . ووضع يديه على الحاجز . وعندئذ فقط زايلته الحمى . تطلع الى نفسه .. الى ملابسه التى التصقت بجسمه فى غير شكل .. الى يديه اللتين اضحتا الآن مسالمتين ـ لا ضرر منهما ـ قد ابيضتا من فرط البرد . ثم تذكر القفازين فأخرجهما من جيبه ، والقى بهما فى الماء .

ونادى على سيارة اجرة .. ودخلها بسرعة وهو يرتعد ـ وحث السائق على ان يمضى معجلا .

وما كاد يضع مفتاحه فى قفل الشقة ويفتح الباب حتى سمع صيحة من لويز تنادى باسمه . وما لبث أن تهاوى على الارض .

وعندما أفاق .. أحس بأنه لم يعد يشعر ببرد . كان جالسا

امام المدفئة الكهربية مغطى بالبطاطين وثمة سيل نارى من البراندى ينزلق فى حلقه .. وكانت لويز تجثو على ركبتيها امامه .
مد يده اليها . وحياها فى ضعف . واعتذر لها .

لكنها لم تكن تنصت له .. بل كانت عيناها تتطلعان من فوق كتفه .. وهى تلقى اذنها الى صوت من ورائه يقول :
ـ .. اذن فلم يكن محتفظا بتوازنه ؟!
ورأى عندئذ عينيها تبرقان .
ـ كلا .. يا عمى فرانسيس .. لم أقل ذلك .. ارجوك .. لا أريد ان اتحدث فى هذا الموضوع .
فتحول أورلاك فى كرسيه ثم اعتدل . واستطاع ان يلمح الدهشة فى وجهيهما معا :
ـ ما هذا الذى لا تريدان التحدث فيه ؟.. هل هو العرض الحقير الذى قدمته الليلة .. اننى لا الومكما .

فاستعادت لويز رباطة جأشها بسرعة . ووضعت يديها على كتفيه :
ـ أوه يا ستيفن .. لقد شغلنا القلق عليك كثيرا .
لم يكن محتفظا بتوازنه !. صكت العبارة ذهنه . كانت تعبيرا مهذبا للجنون . شعر فجأة ببرودة ومرارة . لم يعد جهد المقاومة يستحق ان يبذل .. حاول ان يجعل صوته طبيعيا بقدر الامكان :
ـ لا حاجة بكما الى القلق . اننى فى خير حال . كان ذلك مجرد احتداد كما هو مألوف فى طباع الفنان .
ثم استطرد ـ وهو لا يستطيع ان يخفى مرارته :
ـ هذا اذا كان العرض الذى قدمته يمكن أن يسمى عرضا لفنان !
فتدخل الدكتور كوشران وحاول أن يهون عليه ، بينما قالت لويز :
ـ ماذا حدث يا حبيبى . لم تكن كما عهدناك ؟
فاطلق اورلاك ضحكة قصيرة مكتئبة ـ ومضى صوب مائدة الشراب .
ـ صب لى كأسا من الشراب يا ستيفن .

قال ذلك الدكتور كوشران وهو يجلس على مسند أحد المقاعد، يمضغ طرف غليونه . وعندما جاءه أورلاك بما طلب ، تطلع اليه وابتدره :

ـ هل أستطيع أن أتحدث اليك .. أم تأبى ذلك فى نفور ؟

فقال أورلاك باستخفاف :

ـ تحدث بما بدا لك ؟.

كانت جرعة الشراب ومعدته الفارغة قد جعلاه يحس بخفة فى الرأس

ـ حسنا يا ستيفن .. اننى لست موسيقيا .. لكننى أقول أن عزفك الليلة كان عزف انسان يعانى من فرط توتر عصبى . هذا مفهوم بالطبع .. بعد طول غيابك .. لكن يجب ألا تهمل فى شأنه . لماذا لاتدعنى أرتب لك موعد مع أحد زملائى ليجرى عليك فحصا شاملا ؟.

سمع لويز تتدخل ..

ـ نعم .. لم لا ؟..

ارتفع الى فمه مذاق حامض . فملأ كأسه الى حافتهـا ، وتناول معظم ما بها فى جرعة واحدة وقال .

ـ أشكركما .. أستطيع أن أصف الدواء لنفسى !

اضطرمت أعماقه بالاستياء من الدكتور كوشران .. من اليسير أن يتحدث المرء عن الفحص العام ، وعن عدم التوازن . ما دام لا يعلم الحقيقة . أشار الى الزجاجة والمع الى الطبيب :

ـ ما رأيك يا دكتور .. هل تتناول كأسا أخرى للطريق ؟!

لاحت له نظرة ضيق وحرج فى وجه لويز ، لكنه تجاهلها . وقال الدكتور كوشران كأن لم يحدث شىء :

ـ لست اظن ذلك يا ستيفن . سأنام الليلة مبكرا .

وعبر الغرفة الى الباب :

ـ ونصيحتى اليكما أن تفعلا مثلى .

فقالت لويز :

ـ سأحضر لك معطفك يا عمى .

وسمع أورلاك صوت الدكتور كوشران يحييه من القاعة ،

ــ طاب مساؤك يا ستيفن .

أحس بسوء سلوكه وانتابه تقزز مفاجىء كاد يدفعه الى العدو وراء الرجل العجوز .. لكنه لم يستطع أن يتحرك .. فقال من مكانه :

ــ طاب مساؤك يا فرانسيس

ثم جذب الأغطية عليه .. وجلس أمام المدفئة .. والشراب يلهب احشاءه .

وعادت لويز فابتدرها :

ــ هل ذهب ؟

ــ نعم .. مسكين عمي فرانسيس .. انك لم تحسن معاملته

ــ ولم أحسن معاملتك انت أيضا .

ــ لا عليك مني .. انني زوجتك .. انني أحبك .

كان الالم باديا في كلماتها .. وفي عينيها .. فانهار فجأة . غص حلقه بحزن رهيب ، وعجز في الوقت نفسه عن أن يبكي . فمد يديه اليها ودفن وجهه في كتفها . وشعر بيديها تتحركان برفق على ظهره ــ وتضمانه ضمة دفء وحماية . وتمنى عندئذ أن يظل هكذا طول الوقت ــ كطفل صغير .

ــ هيا الى الفراش يا حبيبي . انني أخشى أن تصاب ببرد .

نهض وتبعها الى غرفة النوم ورقد . وفي خلال دقائق كانت بجانبه تضمه اليها .. وزال بدفئها كل اثر للبرد الذي انتابه وهو يسير تحت المطر . تطلع الى وجهها بجواره ــ وقد انعكس عليه ضوء القمر ــ ورأى عينيها تغمضان .. والتوتر يزايل ملامحها .

تمنى أن يفعل مثلها . أن يقص كل شيء ــ فيما خلا النوم . لكنه لم يستطع . على جبهته كان ثمة رباط محكم من الالم .. عقله كان قد واجه الكثير . وصار احساس الالم وسيلته الاخيرة ضد الفكر وعذابه .

دق جرس التليفون بجواره . فالتقط السماعة بسرعة حتى لا يوقظ لويز

ــ هل يمكن أن اتحدث الى المسيو لوي فاسير ؟!

حملق في السماعة وهي تهتز في يده :

ـ من ؟ .
فقال الصوت ـ وهو أكثر بعدا :
ـ فاسير . .
ثم سمع صوت السماعة المقابلة توضع . فحـــاول أورلاك ان يضع سماعته بدوره ـ وقد جفت شفتاه وصخب قلبه . لكنهـــا اهتزت واحدثت صوتا من جراء ارتعاش يده .

وقالت لويز دون ان تفتح عينيها :
ـ من كان ذاك ؟
لكن أورلاك كان يحدق فيما أمامه ، فلم يجب .

ـ من كان ذاك ؟ هل كانت النمرة خطأ ؟
ـ نعم . . نعم يا حبيبتى ـ النمرة خطأ . . عودى الى النوم .
وعندئذ ـ ويا للغرابة ـ جاءه النوم . لكنه كان نوما غريبـــا خالطه اضطراب وخوف بقيا فى نفسه حتى الصباح .

كانت لويز قد استيقظت وارتدت ملابسها . وكان يسمع صوتها قادما من المطبخ . فانزلق من الفراش متعبـــا مكدودا ـ وحلق ذقنه ـ وذهب اليها . فاستقبلته بابتسامة أمل . . بدا فيها التحفظ ، وحيته بهدوء . ثم انزلت اناء القهوة من فوق الموقد . وتحركت صوبه قائلة :
ـ كيف حالك الآن ؟
قفزت الى لسانه كلمة لاذعة ـ لكنها توقفت عند شفتيه . كانت لويز . . . لكن . . هل يمكنها حقا ان تبدو فى هذه اللحظة فى غير مسلك اشفاق ورثاء . لعل الرثاء هو أقصى ما يستطيع ان يهبـــه الانسان .
غمغم قائلا :
ـ اننى على ما يرام . . لكننى لم انم جيدا
ـ اجلس وتناول افطارك . . سيساعدك هذا بعض الشيء .

كان يعلم صـــدق ذلك . فأكل اقصى ما يستطيع ـ لـكن بغير شهية . وعندما أوشك أن يفرغ دق جرس التليفـــون . فنهض قائما ، لكن لويز كانت قد سبقته :

ـ اجلس حيث انت وتناول قهوتك . ساتولى انا الامر لو كانت المكالمة لك .

ثم ابتسمت له واردفت :

ـ لابد ان اتعلم على اية حال . فهذا من واجبات زوجة العازف .

وعادت بعد بضع دقائق .

ـ ستيفن .. كان هذا موريس سيدلمان .

فجاشت معدته بغثيان ، عندما طافت بذهنه صور حية من عرضه المتعثر .

ـ لا اريد ان اراه !

فجلست لويز فى مواجهته .

ـ اظن انك مضطر الى ذلك يا حبيبى .

فقال فى لهجة حادة :

ـ تعتقدين اننى مدين له باعتذار ؟

ـ كلا . الاعتذارات تكون عن اخطاء المرء . لكن ما حدث لم يكن من خطئك . ومع ذلك فلا بد أن تحادثه . فليس هذا هو الحفل الوحيد ولن يكون .

كان هذا شيئا نسيه تماما . ثمة حفل آخر فى لندن . ثم أربع حفلات فى الاقاليم وفى ايرلندا .

ـ الا يستطيع موريس ان ينتظر ؟

ـ انت أدرى بذلك منى . اننى لا اعرف شيئا عن ترتيبات الحفلات .

لم يكن هناك سوى رد واحد ممكن :

ـ حسنا .. ساقابله

فتطلعت لويز الى ساعتها :

ـ اذن يحسن بك ان ترتدى ملابسك .. لان سيارته ستمر عليك فى خلال ساعة .

شعر بأنه ليس فى حالة تدعو الى العجلة . لكنه لم يجد فى نفسه حافزا للمقاومة .

تطلع الى المرآة بينما كان يرتدى ملابسه . ووجد وجهه

الدهشته لم يتغير . نفس الوجه الذى عرفه طيلة حياته ؟ ليس فى ملامحه ما يدل على الارهاق والتوتر فيما عدا تلك الظلال الرمادية التى ظهرت تحت عينيه تنبىء عن ليلة مسهدة .

كانت تحركاته بطيئة متعثرة .. وما كاد يفرغ حتى جاءه صوت لوين :

لقد حضرت السيارة يا ستيفن .

مر عبر الردهة ـ فوجدها فى انتظاره .

ـ حظا سعيدا يا حبيبى . تذكر شيئا واحدا فقط .

فقبلها متسائلا :

ـ وما ذاك ؟

ـ مهما فعلت .. مهما اتخذت من قرارات ـ فاعلم أننى وراءك اساندك .. مخطئا كنت أو مصيبا .

تباعد قليلا عنها .. حتى هضم ذهنه عبارتها الغريبة . وشعر بحنان شديد اليها ـ فقال بثقة أكثر مما كان يشعر حقيقة .

ـ سيكون الامر على ما يرام ..

ـ اذا اعترتك احدى هذه .. النوبات . فلا ترتكب أية حماقة .. عد الى هنا فورا ..

فوعدها بذلك . وهبط الدرج معجلا وفتح الباب الامامى . واذا به يفاجأ على غير استعداد بحشد من الصحفيين . صاح به أحدهم وهو يعترض طريقه :

ـ يا مسيو اورلاك .. هل لك ان تجيب عن بعض الاسئلة ؟

ومال آخر على كتفه :

ـ هل لك أن تدلى بتصريح ؟ .. هل قرأت صحف الصباح ؟

فشق طريقه بينهم وهو يقول :

ـ لا .. لن أدلى بأى تصريح . ليس لدى ما أقوله .

وهرول عبر الطوار الى السيارة الليموزين السوداء . بينما كان السائق يفتح له الباب

انزلق فى مقعده ، بجوار سيدلمان ، ومرقت السيارة بهما ، وتطلع الاخير الى الخلف ، الى حيث ترك الصحفيين وقال :

ـ انهم شر لا بد منه . . يحسن أن أصدر بيانا بالطبع . . أضمنه ما ستخبرني به .

شعر أورلاك بعينيه ـ عيني سيدلمان ـ مصــــوبتين اليه في تساؤل . لكنه لم يقل شيئا . فاستطرد الاخير :

ـ كيف حالك اليوم يا ستيفن ؟ احسن !.

ـ نعم . . أحسن . . اشكرك .

ـ ظننت أن من المستحسن أن نتناول الفداء في النادى الذى أنتمى اليه . ستجد الجو أهدأ هناك .

الفداء ؟ شعر بعدم اكتراث مطلق ـ بالنسبة للغداء ولكل ما قد يقوله سيدلمان .

ـ حسنا .

فمال سيدلمان على السائق :

ـ الى نادى الفنون الجميلة يا ادجار .

ـ حسنا يا سيدى .

ولأمر ما ـ سواء اكان ذلك مصادفة ام عمدا ـ ابطأت السيارة في شارع ديجموز . . حيث لمح أورلاك عند قاعة الموسيقى اعلانات كبيرة تنبىء عن حفل لموسيقار منافس . ثم اتجهت السيارة الى شارع أوكسفورد . . حيث رأى اورلاك امام قاعة الموســيقى التى كثيرا ما ظهر فيها هناك ، رجلا يحمل دلوا وفرشاة وهو يمحــو الاعلانات التى كانت تتحدث عن حفله .

لو كان سيدلمان قد اختار هذا الطريق عمدا ـ فانه لا ريب لم يفلح فى أن يؤثر عليه . تطلع أورلاك الى يديه اللتين انتشرت فيهما الندوب ، وهما فى حجره ، وشعر بأنه قد ابتعد وانفصل عن الموسيقى . . مثلما ابتعد وانفصل عن هيلجا !

هيلجا ؟! تبسم فى مرارة . كم كان هذا كله يطربها . . لا سيما حشود الصحفيين الذين يلاحقونه وينتظرونه على باب مسكنه . .

عاد الى التفكير فى لويز . انها لا تسأل شيئا . انها تنتظر فقط في ولاء واخلاص . هل يكون هذا الولاء بغير جدوى ؟ هل يكون هجر لويز هو الطريق الوحيد العادل الذى يجب ان يسلكه ؟!

ـ ها نحن قد وصلنا يا ستيفن .

خرج أورلاك من السيارة . وانتظر سيدلمان .. الذى كان ينزل بمشقة لفرط ضخامته، وما لبث أن شهق متأففا :

ـ أحيانا أود أن أتخلى عن معدتى للآخرين !

فتطلع أورلاك بحدة الى يديه بغير ارادة منه . ولمح عندئذ سيدلمان يحدق فيه ويقول :

ـ هل أنت موقن أنك فعلا بخير ؟!

فأومأ برأسه وبدا تواقا الى أن يحبط أية محاولة أخرى للحديث عن صحته .

ـ اننى بخير .. لكننى سأكون أحسن حالا متى تناولت بعض الغذاء .

واختارا مائدة قصية فى طرف غرفة التدخين. وجذب سيدلمان اليه النادل (الخادم) وهما فى طريقهما ، وأسر اليه شيئا . وما كادا يجلسان حتى لحقت بهما زجاجة من الشراب وكأسان من الفضة . وما لبث سيدلمان ان رفع راسه وقال وهو يبتسم :

ـ نخب نسيان الليلة الماضية . لقد نسيت كل شىء عنها بالفعل .

فشكره اورلاك وهو يدرك لاول مرة ، معنى فشله بالنسبة الى سيدلمان وقال :

ـ الحق ان فيك كرما وشهامة لم أعهدهما فى احد من قبل .

فتطلع سيدلمان الى كأسه وقال :

ـ ان ما يحدث لك أهم بكثير مما يحدث لحفل .. ومعذرة بهذه المناسبة اذا كنت سأتحدث فى العمل . المسألة هى .. ماذا ستفعل بالنسبة لحفل الاسبوع القادم ؟ . لااريد ان اطاردك بالطبع. أستطيع أن آتى بمن يحل محلك .. لكننى يجب أن اعرف موقفك بسرعة .

ـ الافضل أن تلغيه اذن .

فوضع سيدلمان كأسه وقال :

ـ لكننى لا أريد الغاءه يا صديقى العزيز . لا أريد الغاءه اذا كنت تشعر بأن فى مقدورك أن تحييه .. ماذا يعوق طبيبك فى ذلك ؟ ..

فتذكر أورلاك حديثه مع الدكتور كوشران ؟

ـ لم اذهب الى طبيب ..

فقال سيدلمان فى دهشة :

ـ حقا ؟! لكن .. بالطبع .. لم يكن أمامك فسحة من الوقت . أظن انك اتخذت ترتيباتك للذهاب الى الطبيب اليوم .

ـ اننى لا اثق بالاطباء .

ـ يا عزيزى ستيفن . اننى لا اثق بهم ايضا . لكن هذا لا يمنعنى من استشارتهم .

كان يبدو أن سيدلمان قد أخذ عبارته على محمل المزاح . وما لبث أن قال :

ـ اذا كنت لم ..

ثم قطع حديثه وحيا شخصا قادما .

ـ هالو .. كيف حالك يا جراهام ؟

تحول أورلاك برأسه ، ثم وقف ، والرجل يصافح سيدلمان . كان يبدو مألوفا بعض الشيء . فقدمهما سيدلمان أحدهما الى الآخر :

ـ ستيفن أورلاك .. جراهام كوتس ، المثال .

فمد له اورلاك يده يصافحه .. لتلتقى بكف ضخمة ـ راحته صلبة كجلد حذاء .

وجلس الرجل وهو يقول :

ـ معذرة لان حفل الليلة الماضية قد فاتنى !

شعر أورلاك بالدم يهرب من وجهه . ولمح الحرج فى نظرات سيدلمان . ومرت فترة صمت قصيرة مفعمة بالتوجس . وما لبث المثال أن تدارك ..

ـ هل أخطأت فى قولى ؟..

بدأ سيدلمان يتدخل ليشرح الامر . لكن الرجل قال :

ـ لقد كنت فى بروكسل .. ولم أصل الا صباح اليوم

فقال اورلاك من فوره :

ـ اذن فأنت محظوظ . لقد فاتك حفل فاشل .

فرفع كوتس حاجبين مهدلين !
ـ هذا أمر لا أكاد أصدقه .
ثم انحنى الى الامام :
ـ سأطلب منك معروفا كبيرا يا مسيو آورلاك . انني أقوم الآن بصنع تماثيل ضخمة ـ طول الواحد منها نحو ١٨ قدما . انها من البرونز بالطبع . زنة التمثال منها نحو ستة أطنان .

ثم امسك .. بينما راح اورلاك يتطلع اليه دون ان يفهم شيئا . واستطرد كوتس :
ـ اريدك أن تسمح لي باستخدام يديك !!

كانت مفاجأة انتفض لها أورلاك في مقعده :
ـ يداي ؟!
ـ لن أطلب منك أن تجلس أمامي . ستكون مشغولا بالطبع عن ذلك . لكنني اود أن توفر لي ولو ساعتين ، لاستطيع ان اصورهما ، ثم أصنع منهما نموذجين من الشمع !

فقال أورلاك في جفاف واقتضاب :
ـ انني آسف .

ـ ارجو الا ترفض قبل ان تسمع كلّ شيء . ان هذا عمل كبير .. أكبر عمل قمت به في حياتي . انه يصور قيام (اليعازر) من الموت .. وسيوضع التمثال في كاتدرائية دنكستر ، على المذبح العالي .. اليك المشهد الآن كما أتصوره .
وجد أورلاك نفسه يحدق في المثال ، وهو لا يقدر على أن يقطع سيل كلامه المنهمر ، المتقد عاطفة وحماسا :
ـ هنا .. على اليسار .. سيكون المسيح .. ذراعه ممتدة ..

وما لبث المثال أن قفز على قدميه واتخذ الوضع الذى صوره .. باسطا يده الى أمام .
ـ .. انه يقول : قم يا اليعازر .. هلم الى الخروج
ثم لوح بيده خلفه وقال :
ـ وهنا .. يقف توما ومارتا ومريم .. التلاميذ .. وهنا .. على اليمين . يوجد القبر .

ورسم بذراعيه دائرة في الهواء !

ـ كهف كبير .. الحجر الذى فى مدخله بعيد عنه . لكننا لا نرى من (اليعازر) سوى يديه !

ثم أمسك بأورلاك من معصميه وجذبهما اليه فجأة على نحو جعل أساور أكمامه تنزلق على ذراعيه .

ـ يداك يا اورلاك ! ممتدتان من القبر . تتدلى منهما الاكفان!

كان الوصف أخاذا .. وكان كوتس منغمسا فيه بحماس .. حتى أن أورلاك تخيل المشهد كما لو كان حقا يشارك فيه . حدق فى يديه الاسيرتين بينما اجتاحته نوبة من الغثيان . وشعر بهما تنقبضان وتنبسطان فى اختلاج وارتعاش . ثم أطلق صيحة ألم وجذبهما بشدة . وقفز على قدميه فجأة ـ فاهتزت المائدة وسقط الكأسان على الارض .

وصاح بعنف :

ـ كلا .. كلا .. عليك اللعنة !

ومرق خارجا يتعثر .. وهو يصطدم بالموائد .. عبر الردهة الى الطريق . وتطلع يمينا ويسارا . ثم عبر الشارع ومضى فى شارع آخر جانبى .. الى أحد المتنزهات . قفزت أمامه كرة فالتقطها . وكان ثمة طفل صغير يعدو نحوه .

قدم له الكرة مبتسما . لكن خطوات الطفل توقفت، وبقى على مبعدة أمتار ، دون أن يتحرك ليأخذ الكرة . فتطلع أورلاك اليها ووجد أن يديه قد التفتا عليها ـ بينما غارت أصابعه فى سطحها الاسفنجى . حاول أن يبعد يديه ، لكنهما شددتا قبضتيهما باحكام . فصاح فجأة :

اليك .. خذ الكرة .. خذها !

ثم انتفض والقى بها . فتدحرجت نحو الطفل الذى التقطها فى تردد . ثم تطلع الى اورلاك فى اضطراب ، وقد اتسعت حدقتاه . وما لبث أن استدار وعدا صوب امرأة تجلس على مقعد قريب .

أخذ أورلاك يحدق فى الاصابع المختلجة ، ثم دس يديه فى جيبيه وسار معجلا ، بخطوات واسعة فوق الحشائش الى بيكاديللى .. حيث تحمله سيارة من سيارات الاجرة الى البيت .

البيت ؟! توقف من فوره ، ثم جلس على مقعد خال . العودة الى البيت معناها أن يزيد من آلام لويز . مجرد فترة يقضيها الى أن يحدث من جديد شيء يعجل بظهور قوة فاسير في يديه.. ويدفق شره دفقا الى أصابعه المختبئة في جيبيه .

تذكر الدكتور كوشران ونصيحته فجأة . هل هذه مهمة جراح أم مهمة طبيب نفسي ؟! هل يذهب الى فرانسيس ويطلعه على القصة كلها .. ويتوسل اليه أن يقدم له نصيحة ايجابية ..

نهض واستأنف السير ... ثم اوقف احدى سيارات الأجرة وطلب من السائق أن يتوجه الى شارع هارلي .. وهدأ عندئذ في مقعده محاولا أن يرتب كل شيء في ذهنه .. على نحو يفهمه فرانسيس .

لكنه كلما جاهد في ذلك ، بدا الامر كله بعيدا عن الصواب والمعقول . فنقر بشدة على الزجاج الذي يفصل بينه وبين السائق. فسرعان ما انحرف الاخير بالسيارة عن جادة الطريق وأوقفها صائحا :

ـ ماذا تفعل بحق السماء أيها السيد .. هل تريد أن تحطم السيارة ؟.

فبذل أورلاك بعض الجهد ليتحكم في نفسه :

ـ معذرة .. لم أعد اريد الذهاب الى شارع هارلي .. خذني الى مكتبة . اية مكتبة كبيرة عامة .

ـ حسنا ايها السيد . لا يهمني ان أقودك حيث تشاء .. لكن لا تدفعني هكذا !!...

أدار السائق السيارة حتى عادت الى جادة الطريق ، ثم اخترق شارعا جانبيا وتوقف قائلا :

ـ ما رأيك في هذه ؟

فشكره أورلاك وهو يخرج ونقده اجره . لم يكن يدري بالضبط أين يذهب . لكن الحركة ، مجرد الحركة كانت تخفف عنه . ففتح باب المكتبة ، ودخل الى قسم المراجع . ونظر في الفهرست تحت عنوان «طب» ثم عنوان « جراحة » .. ومضى عبر رفوف الكتب حتى بلغ صفا طويلا ، كانت كتبه ضخمة فسقط قلبه في قدميه

وهو يتخيل المهمة الشاقة التى هو مقدم عليها . لكنه اثر ان يمضى بترتيب . فبدا من اليســـار الى اليمين على طول الرف ، يراجع الكشافات فى ذيل كل كتاب ، وينظر من بينها الى كلمات مثل « زراعة الأعضاء » و « استبدال الاعضاء » و « اعادة بناء الاعضــاء » . وتناول كومة من هذه الكتب وجلس الى مائدة وشرع يبحث .

كانت معظمها كتبا قديمة . وبعد أن تصفح بعضا منها ، تجاوز عنها كلها . تحقق من أن اى مادة تتناول هذا الموضوع لا بد أن تكون جديدة .. لكنه لم يعثر على اشارة اليه الا فى الكتاب العشرين .. كان ثمة جراح روسى يدعى ديميخـوف ، أجرى تجربة على زراعة الأعضاء .

روسى ؟! هل يمكن أن يكون زميلا لفولشيف . قلب الصفحات بسرعة حتى عثر على بغيته . ثم بدأ يقرأ ـ يتملكه خوف طاغ ممـا قد تأتي به كل فقرة قادمة . قرأ عن تجربة ناجحة اجراها ديميخوف واستطاع فيها أن يزرع رأس كلب وساقيه الأماميتين فى عنق كلب آخر . وقرأ ملحوظة فى ذيل الصفحــة تحيله على موضع آخــر من الكتاب . فقلب ثلاثين صفحة ، ووصل الى تجربة أمريكية هــذه المرة .. رجل قطعت ساقه ثم نجحت الجراحة فى اعادتها اليه .

قطعت ؟.. نعم .. لكنها كانت ساقه على أية حال . هل من الممكن اذن استخدام السباق ـ واليدين ـ اذا كانت تنتمى لآخر؟! قطب جبينه واستعاد تجربة الكلب . يبدو ان ذلك ممكن . لـكنه واصل القراءة :

« وفى كل هذه الحالات حدثت أضرار بالغة للتناسق العضلى والعصبى » .

كانت يداه الآن الى جانبيه ـ عاديتين ـ ساكنتين ..

ومضى يقرا :

« ومن المرجح فى حالة الأمريكى ان تمر سنوات قبل آن يتمكن من استعادة ولو جزء من احساس الساق وحركتهــا .. وستبقى على اية حال اقصر من ساقه الاخرى بنحو بوصتين » .

تطلع الى واجهة الكتاب ، بحثا عن تاريخ الطبع ، فوجد انه صدر منذ عامين .

هل يمكن أن يكون فولشيف قد قطع مثل هذه الخطوة الكبيرة في خلال عامين اثنين . لقد اشتهر فولشيف بأنه رجل غامض يحتفظ لنفسه بأسرار تقدمه . ان هذا الكتاب كتاب رسمي ، أصدره لفيف من الجراحين ــ فهل هذا وحده يضمن انهم كانوا على علم بكل ما يجرى في العالم ؟

لم يكن امامه سوى رد واحد : لا بد قبل أن يذهب الى عيادة الدكتور كوشران ، أن يتصل بعيادة فولشيف .

وضع الكتب في مكانها ، ثم هرول الى الخارج . ووقف على الطوار ليوقف اية سيارة اجرة عابرة . لكنه عندئذ تحقق من انه جائع . وتذكر انه فيما عدا الافطار ، لم يتناول شيئا لأكثر من اربع وعشرين ساعة خلت . فعرج على مقهى من تلك المقاهى التى يخدم المرء فيها نفسه . وجعل يزدرد الطعام ، دون أن يلحظ أصنافه . وتذكر مكالمته السابقة مع العيادة في باريس . لا بد أن فولشيف الآن قد عاد . لكن هل من الممكن أن يكشف الحقيقة ؟ هل يكون حقا راغبا ــ لو كانت ابحاثه سرية ــ في ان يسمح باطلاعه على معلومات قد تنشر في صدور الصفحات الاولى لصحف العالم ؟!

عليه أن يتبين الآن .. غادر المقهى وركب سيارة اجرة الى البيت .

ــ لويز ؟

نادى باسمها وهو يأمل أن تكون في الخارج . وارتاح عندما تأيد له ذلك وهو يتفقد الحجرات واحدة بعد أخرى . ثم التقط سماعة التليفون وطلب المكالمة في باريس . وجعل ينتظر .

سمع صوتا ينم عن وضع الصحيفة المسائية في صندوق البريد . فتوجه الى الردهة والتقطها . وجد عنوانها الرئيسى أورلاك يقول : لا تصريحات ! وتحته صورة غير واضحة له وهو يدفع جسمه دفعا بين الصحفيين على الطوار خارج مسكنه . فكور الصحيفة غاضبا وقذف بها في ركن من الردهة .

دق الجرس ، فهرول الى حجرة الصالون والتقط السماعة .

ــ هالو .. هل هذه عيادة البروفسور فولشيف ؟ انا ستيفن أورلاك . لقد حدثتكم من قبل ، منذ بضعة أسابيع ، وقت أن كان

البروفسور غائبا . هل أستطيع الآن أن أتحدث اليه ... انه لأمر بالغ الاهمية ...

ـ معذرة يا سيدي .. ليس هذا ممكنا .

ـ ماذا .. ليس ممكنا ؟ . ولم ؟ .

ـ الم يبلغك النبأ يا سيدي .. لقد أصيب البروفسور فولشيف بنزيف في المخ .. والجراحون الآن على وشك إجراء جراحة له ..

فقال اورلاك .. وقد خلا صوته من كل تعبير .

ـ فهمت .. أشكرك .

وضع السماعة .. هل يستطيع أن يذهب الى الدكتور كوشران دون أن يتأكد ؟ . سار الى النافذة ووقف عندها ، يطل على حركة المرور في الطريق .. ماذا يمكن أن يقول الدكتور كوشران .. ماذا يمكن ان يقول دون دليل قاطع .

تحرك في الغرفة مضطربا .. متمنيا أن تكون لويز معه الآن . قد عقد العزم تقريبا على أن يقول لها كل ما يعرفه عن نفسه بدل أن يظل يرقب الشك المخيف الذي يلوح في وجهها . كانت الشقة وهي خلو منها تبدو صغيرة . تكاد جدرانها تنطبق عليه .. حتى فسحة المتنزه الموحشة كانت افضل منها .. ذهب الى الردهة والتقط الصحيفة المكومة ووضعها في سلة المهملات . وفي السلة شاهد شيئا مألوفا . فالتقطه .. كان بروازا صغيرا يضم صورته وهو يجلس الى البيانو في منظر جانبي .. لكن اليدين كانتا مختفيتين .. بدا أن أحدا مزق هذا الجزء من الصورة .. فقطع يديه من عند رسغيه !.

عبث في السلة ، عن الجزء المفقود . لكنه لم يجد شيئا . من فعل ذلك ؟ . ولماذا ؟ .

من غيره في هذا العالم ، يعلم بأهمية يديه ؟ . البروفسور فولشيف . ولويز مثلا ..

وضع الصورة .. ثمة شخص آخر يعلم .. الرجل الذي سمع حديثهما وهو مختبىء في الشرفة .. نيرون ! .

اذا كان نيرون يعد العدة لتهديده ، بغية ابتزاز ماله ، فهذا يفسر وجود القفازين فى المظروف ، والمكالمة التليفونية التى كان صاحبها يسال عن فاسير . وتذكر اورلاك القوة المغناطيسية المنومة لعينى نيرون ، فأدرك أن هذا هو اسلوبه : تخويفه ، ودفعه الى حافة الجنون .. ثم الظهور وتهديده بافشاء أمره ما لم يدفع له ما يريد ..

كان هذا محتملا .. واكثر من محتمل .. حقا انه لم يكن مليونيرا .. لكنه مكث عشر سنوات وهو فى ذروة مجده الفنى .. يقيم الحفلات فى كل قاعة شهيرة .. من هونج كونج الى بونس ايرس .. وقد در عليه هذا العمل الفنى ثروة متواضعة. استطاع أن يحتفظ بمعظمها بعيدا عن براثن هيلجا .. كان لديه ما يكفى ليجذب نيرون اليه ..

والمكالمة ؟ .

توجه الى الصالون مرة أخرى والتقط السماعة .

ـ هل يمكن أن أعلم ما اذاكان هذا الرقم قد تلقى مكالمة من فرنسا ؟ .. لا .. لم تكن فى الساعات القليلة الاخيرة .. كانت فى نحو منتصف الليلة الماضية .

أخذ ينقر المائدة وهو نافد الصبر .. ينتظر الرد .. ثم قال :

ـ حسنا .. لا يوجد شىء .. اشكرك ..

اذن فهو نيرون الذى اتصل به من داخل الاراضى البريطانية . بل ربما من لندن .. من مسيرة عدة اميال فقط .. اين يمكن أن يكون ؟ . فى سوهو على الأرجح . فى واحد من عشرات تلك النوادى الليلية الصغيرة التى لا تختلف عن ملهى القرد الازرق فى مارسيليا .

كان الاحتمال واحدا فى الألف . لكنه كان يستحق أن يعمل على أساسه .. ان أى عمل أفضل الآن من لا شىء .. ولو ساعده الحظ ووجد نيرون .. أخذت اليدان عندئذ تنقبضان وتنبسطان .

كان نيرون يعرف فاسير .. كان يعرف كل شىء .. سيضطر نيرون الى ان يقول كل ما يعرف .. وعندئذ .. كى لا يفكر مرة أخرى فى تهديده ... فانه ....

خرج من الشقة وتوجه الى سوهو فى سيارة اجرة ، فابتدره السائق :

ـ هل تذهب الى جهة معينة فى سوهو يا سيدى ؟

ـ شارع دين ..

سيبدأ من هناك .. ويبحث فى الحى طولا وعرضا .. الحى الذى عرفه صغيرا وهو يجمع نفقات دراسته فى لندن وباريس ، بالعزف مع فرق الجاز فى الحانات .. وعندما هبط من السيارة استعاد فى ذاكرته جغرافية الحى بوضوح . واستطاع أن يذكر المداخل البراقة لبعض تلك الحانات . والشوارع الضيقة الخلفية التى تلتصق فيها بعضها بجوار بعض .

سمع نداء موجها اليه ..

ـ هالو .. هل انت بمفردك .. تبحث عن رفيقة ؟ ! .

هز رأسه بالنفى وابتسم .. كان هذا جانبا من سوهو لم يتغير ابدا ..

لكن ـ فيما عدا ذلك كان الحى قد تغير ـ لم تكن ثمة نواد ليلية فى المواضع التى كانت فيها قائمة من قبل .. فى مكانها قامت أبنية لمكاتب جديدة .. وبدلا من أن يقوم بجولة معجلة فى الحى ، تباطأ بحثه .. وصار شاقا عبر الأزقة والحارات .. وحيثما لم تظهر لافتات ، كان يضطر الى القرع بشدة على الأبواب .. ليخرج له بوابون قد أثقل جفونهم النعاس .. أو راقصات نصف عاريات يطلبن اليه أن يدعوهن لشراب .. أو يتركهن وشأنهن ! .

لم يكن أحد من هؤلاء جميعا قد سمع بنيرون .

كان الظلام قد بدأ يحل .. عندما تخلى عن البحث وعاد الى البيت .. لم تكن الشقة مضاءة عندما عاد . فجلس فى الداخل وهو يتساءل لماذا تأخرت لويز .. لم يكن ثمة دليل على انها عادت الى الشقة أثناء غيبته .

التقط الصورة من سلة المهملات واخذ يتطلع اليها من جديد . وهو يتذكر مارسيليا حيث التقطت .. ولم يسمع الجرس الا عندما دق مرة ثانية . فوضع الصورة تحت نشافة المكتب وتوجه الى الباب ..

كان القادم هو الدكتور كوشران . ففتح له الباب على سعته ؛ لكنه وقف كأنما يحول بينه وبين الدخول .. وحياه وهو يقول في غير لباقة :

ـ أن لويز لم تعد بعد ..

فتحرك الدكتور قليلا الى الأمام وقال :

ـ اعلم ذلك .. اننى احمل اليك رسالة منها .. هل تسمح لى بالدخول ؟ .

فتنحى له اورلاك على مضض .. ثم دخلا الى الصالون ، بينما كان اورلاك يفكر من جديد فى أن يجعل الدكتور موضع ثقته فيروى له كل شىء .. نظر الى يديه بسرعة ـ وهما الآن تحت سيطرته تماما ـ ثم قرر ألا يفعل .. الا بعد أن يعرف المزيد .

ـ حسنا .. ما هى الرسالة ؟ .

فتجاهل الدكتور كوشران مبتسما ، وفك أزرار معطفه ؛ وخلعه ووضعه على ظهر المقعد .. ثم جلس .

ـ هل تسمح لى بشراب .. أفضل شيئا من الويسكى

ـ بالطبع .

صب له الكأس ، وهو يلحظ يضيق أن عم لويز ووصيها قد شرع يخلع قفازيه ببطء . ثم وضعهما فى جيب معطفه . وأخرج سيجارة من علبة ذهبية ، فأشعلها ، ووضع العلبة على مائدة بجوار مقعده ، ثم أسند ظهره الى المقعد .

فقال أورلاك ساخرا وهو يناوله كأسه :

ـ انك تبدو مستريحا تماما ؟!

ـ اننى كذلك .. اشكرك .

تجاهل الدكتور كوشران نبرة السخرية فى صوت أورلاك .. وأشار الى كأسه .

ـ الا تشاركنى ؟

ـ ليس الآن

ـ سيجارة ؟

وفتح العلبة الذهبية واشرعها نحوه .

ـ كلا .. اشكرك .

ـ علبة جـــديدة .. هدية من مريض يحمل لى الشعور بالعرفان . خط عليها عبارة ثناء لا استحقه

قال ذلك واغلقها ومد يده بها اليه ليتناولها ويفحصها .

ـ جميلة جدا .

غمغم أورلاك بالعبارة متجاهلا العلبة ، وتساءل :

ـ ما هذا الشيء الذي تريد أن تحدثني به عن لويز ؟

فرشف الدكتور كوشران من كأسه وقال :

ـ لقد جاءت لزيارتي بعد ظهر اليوم . ويبدو أنها لم تكن تشعر بأنها على ما يرام في الفترة الاخيرة ..

فذهل أورلاك ، وقطع حديثه .

ـ لم تذكر لي كلمة واحدة في هذا الشأن !

ـ أعتقد أنها لم تكن تريد أن تشغلك .

فأمسك أورلاك مسندي المقعد بقبضتيه :

ـ هل هي مريضة .. ماذا حدث لها ..؟!

ـ كلا .. لا شيء خطير . مجرد صداع نصفي ـ غريب بعض الشيء . وقد ارسلتها كاجراء وقائي الى مستشفى ماريلبون لاجراء فحص شامل عليهـــا .. اختبار للدم .. والاشعة ... الشيء المعتاد ..

اخذ اورلاك يرقبه وهو يتحدث،مدركا انه يتعمدالاستخفاف وعدم المبالاة الى حد ما .. فتساءل :

ـ انك تخفي عني شيئا ..

ـ أخفي ؟! يا عزيزي ستيفن .. انه اجراء بسيط لا اكثر .. ليس ثمة داع للانزعاج .. وهذا هو السبب في انني حضرت لأشرح كل شيء بنفسي .

ـ هل انت متأكد ؟..

شعر الآن باضطراب .. خشية ان يكون التوتر العصبي الذي انتابه في الساعات الاربع والعشرين الماضية ... قد سبب لهـــا متاعب خطيرة ..

ما لبث الدكتور كوشران أن تبسم له فى ثقة وقال :

ـ انى متأكد .. ومن الأرجح أن تعود فى موعد الغذاء غدا .. وهى صحيحة معافاه ..

ـ الحمد لله ..

ـ كل ما فى الأمر ان تترفق بها .

تطلع اليه أورلاك بعينين ضيقتين ، وهو يتساءل فى قرارته عما حفزه الى قول هذه العبارة ..

ـ ولم تعتقد اننى لا اترفق بها ؟ .

فقال الطبيب بسرعة :

ـ ليس ثمة سبب على الاطلاق ..

ثم تشاغل بعلبة السجاير ووضعها أخيرا على المائدة بأصابع لم تكن ثابتة تماما ، وأردف :

ـ أنت تعلم أن عددا كبيرا من الأمريكيين يجرون الفحص على انفسهم بانتظام مرة كل ستة أشهر .

فغمغم أورلاك فى جفاء :

ـ سمعت بذلك ..

ـ أنا شخصيا أعتقد انها فكرة غاية فى التعقل .

ـ جـدا ! .

فقال الطبيب ـ بنفس اللهجة التى تنم عن عدم اكتراث .. كأنما يطلق عبارته عفوا :

ـ استطيع أن ارتب لك فحصا بكل سهولة .. اذا شئت .

فرفع اورلاك حاجبيه وهو يتطلع اليه :

ـ ولماذا أنا ؟ .

ـ حسنا .. ولم لا ؟ .

شعر أورلاك بأن الطبيب يراوغه ويدفعه الى موقف حرج .. ففاضت نفسه بكراهية له .. وقال ببرود :

ـ هذه هى المدة الثانية فى خلال ٢٤ ساعة يا فرانسيس .. كنت اظن انه ليس مسموحا للأطباء البريطانيين بأن يلحوا بمثل ذلك من اجل المـال ! .

سادت فترة صمت خلت من كل حرارة .. وتصلب الدكتور كوشران فى مجلسه .. ثم قال بجفاء :

ـ هذه عبارة فيها اساءة يا ستيفن .

ـ لقد كان اقتراحك هو الذى فيه الاساءة ! .

فوقف الطبيب فجأة وقال :

ـ اعتقد اذن أن من الافضل أن أذهب .

ـ كما تشاء ..

كان أورلاك قد نهض ايضا .. وناوله المطف وهو يكاد يرمى به بين يديه رميا ..

شكره الرجل مع ذلك وهو يرتديه .. ثم تحرك صوب باب الردهة . وسار أورلاك فى أعقابه ، كأنه يدفعه الى الخروج .. كان يشعر عندئذ بذلك الالم يحكم رباطه على جبهته من جديد .. وكان معنى ذلك أن العبء قد أصبح مرة أخرى أكثر مما يحتمله عقله .. وبالرغم من أنه لم يتناول مع الدكتور أى مشروب ، الا أنه عرف بالضبط ما سيفعله متى انفرد بنفسه .. سيتناول زجاجة الويسكى وكأسا ويجلس امام نار المدفأة .. يختلس بضع ساعات من النسيان ..

وفى الردهة توقف الدكتور كوشران قليلا .. وبدا أنه يتهيأ لارتداء قفازيه .. ثم قال :

ـ اعتقد اننى نسيت علبة سجائرى هناك .. هل تسمح ؟ .

فكاد اورلاك يهرول الى الغرفة ، واختطف العلبة من فوق المائدة ، وعاذ بها ، وقدمها الى الرجل ..

ـ اشكرك .. طابت ليلتك يا ستيفن .

ـ طابت ليلتك ..

وأغلق الباب بصفقة كانت اكثر اساءة مما حدث من قبل .. وعاد الى الصالون فالتقط زجاجة الشراب . لكنه تردد اذ ادرك أنه يجب أن يفعل شيئا آخر قبل ذلك .. شيئا كان قد عقد عزمه عليه بينما كان ينصت الى الطبيب .

تناول سماعة التليفون . ومد يده الاخرى الى دليل لندن .. ثم ادار القرص ..

ـ هالو .. هل هذه مستشفى ماريلبون ؟. هل يمكن أن تنقل رسالة الى مسز اورلاك .. نعم أورلاك .. ماذا .. هل انت متأكد ؟. اشكرك .

كان محقا فى ظنونه .. ان الدكتور كوشران قد فضحه استخفافه الظاهر .. لم يكن يقول الحقيقة .. واذا لم تكن لويز فى المستشفى ، فأين هى الآن يا ترى .

- ١١ -

رفع راسه عن الوسادة شبه مخمور ، بعد أن تناهى اليه صوت قطع عليه سباته العميق الذى كان قد غرق فيه وهو بملابسه على الفراش . شعر ببرد لاذع لانه كان يرقد فوق اغطية الفراش . وكان رأسه يؤلمه على نحو لا يحتمل ..

فتح عينيه . كان القمر قد تسلل بضوئه من النافذة فانعكس ظلال قضبانها على الحجرة . تقلب واصاخ السمع فتناهى اليه من جديد ذلك الصوت الذى ايقظه .. صوت يشبه « الخشخشة الحادة » .

وجد نفسه فجأة قد طار النوم من عينيه تماما . اخذ يحدق من نهاية الفراش ، وهو موقن من انه شاهد شيئا يتحرك . فتحامل على مرفقيه واستعد لأن يقفز من الفراش وينقض على اى دخيل يكون قد تسلل الى غرفته وهو نائم . وعندما أوشك أن يتحرك ، شاهد شبحا أبيض صغيرا ، كأنما تغطيه غلالة من ضباب ، يتحرك ببطء على غطاء الفراش منزلقا من الظلال القائمة بجوار قدمه . فدهمه ذعر مفاجىء شله عن الحركة . وظل راقدا وهو يرقب هذا الشىء فى فزع .. يتحرك الى ظل من ظلال قضبان النافذة المنعكسة على الفراش . وتبين انه يد بشرية ، تزحف كحيوان البحر « أبو جلمبو » على ابهامها واطراف اصابعها .. وقد اوشكت أن تقطع نصف الطريق اليه . فتح فمه واطلق صرخة مدوية . لكن لم يخرج له صوت .

وفجأة تصاعدت من خلف نهاية الفراش ضحكة ساخرة بددت ذلك الذهول الذى شل أطرافه . وأمدته ببعض القوة التى حاول بها عبثا أن يضىء المصباح الرابض بجوار فراشه . وتقدم نيرون من الظلال الى متسع من ضوء القمر :

ـ هل افزعتك يا مسيو أورلاك ؟ . ليست هذه سوى يد العروسة اللعبة .. انها ليست مثل يدك ، لكنها تفعل ما آمرها به

وازاح اليد عن الفراش ، وهى تتدلى من أطراف خيوط ، ودسها فى جيبه .

كان أورلاك لايزال معقود اللسان .. وكانت ذراعه قد توقفت فلم يعد يبحث عن زر النور .

ـ انت تذكرنى .. اليس كذلك ؟.. نعم .. أرى انك تذكرنى ، وان كنت بالطبع مدهوشا لرؤيتى .

قال نيرون ذلك ، ثم تحرك ليكون أقرب الى الفراش ، واردف :

ـ من المحقق انك لم تعتقد اننى نسيتك ..

ثم ضحك وقال :

ـ نحن أصدقاء على أية حال .. نشترك معا فى سر واحد !

فهمس اورلاك فى جفاف :

ـ لست اعرف ماتقصد أليه .

ـ أعتقد انك تعرف أيها السيد ، حفلتك الليلة الماضية ، علمت أنها لم تكن نصرا بالضبط . لكن هذا بالطبع شىء متوقع .. ان صديقتنا فاسير لم يكن موسيقية !

تحامل أورلاك على يديه وصاح :

ـ اخرج ! اخرج والا قتلتك !

ثم قفز فجأة الى الامام وهو فى الفراش ، على نحو سريع جعل نيرون يتراجع ، ورفع ذراعيه قائلا :

ـ اذا كانت هاتان يدى فاسير .. فلا بد اذن أن تخافهما !

فاطلق نيرون ضحكة مقتضبة وقال :

ـ لكم نحن مجرمون ! بالامس كان بتهوفن .. والليلة .. نيرون المسكين !

فتراجع أورلاك ايضا فى مكانه ، وقال :
ــ اذا كنت تسعى وراء المال ..
ــ انتظر ..

شعر أورلاك بأن نيرون يلهو به كالسمكة .. يمد له خيطا صغيرا ، ثم يجذبه الى مصير لامفر منه ..
ــ .. هل سبق ان طلبت منك نقودا ؟..
قال نيرون عبارته فى رفق ، ثم استطرد بنفس اللهجة :
ــ اننى صديقك يا مسيو أورلاك . لا أريد الا أن أكون بقربك .. دائما .. حيثما تذهب .. اراقبك ليلا ونهارا !

وتحرك نيرون مرة اخرى الى الامام فى ضوء القمر . وكانت عيناه واضحتين . وبدا لأورلاك انهما تكبران حجما ، حتى لتأخذان عليه بصره كله . ووجد أن صوت نيرون قد صار يتخلل اعماق قلبه ، كأنما يحفر فيه الكلمات حفرا :

ــ لقد قلت لك ايها السيد اننى صديقك . انك محظوظ يامسيو اورلاك . ان الرجل الذى يضطر الى أن يبقى وحيدا والذى يخشى حتى نفسه ، لابد ان يحتاج لصديق .

وعاد نيرون الى الظلال ، ثم اتجه فجأة الى النافذة ووقف على حافتها . ولاح ظله الاسود لاورلاك وهو يقول :
ــ انك محظوظ لان تعلم ان لك صديقا فى متناول يدك يرقبك دائما .

وجد اورلاك نفسه يطلق صرخة ، يحرر بها نفسه من سطوة العينين ــ عينى نيرون . فقفز من الفراش الى النافذة ، وهو يندفع مهتاجا على أمل أن يدفع نيرون دفعا فى وقفته الخطرة .. لكنه لم يجد أحدا فى النافذة ــ كان نيرون يتحرك بسرعة ومهارة لص من لصوص السطو على المنازل .. قد تسلق ماسورة المياه ، وأصبح فى منتصف الطريق الى حافة نافذة الشقة التى تقع اسفل شقته .
عاد أورلاك الى الفراش ، يحاول ان يقصى عن ذهنه كل تاثير

لعيني نيرون ؟ وكل اعتقاد يوحي بانه يتحول أمام هاتين العينين الى مخلوق لاحول له ولا قوة . لم يستطع ان يفعل شيئا سوى التريث والانتظار . التريث كفار قد اضطره قط الى أن يلوذ بركن ثم جعل ينتظر الى أن ينقض عليه .. ليعيش من بعد ذلك تحت امرة نيرون . يدفع ، ويظل يدفع ثمن سكوته .

وما لبث النوم أن احتواه ، لكن « الكوابيس » التى انتابته فيه كانت تبدو له حقيقية كزيارة نيرون . وتداخلت هذه « الكوابيس » مع اليقظة ، حتى خال الخط الذي يفصل بين الخيال والواقع قد تحطم وانهار .

كان ضوء النهار قد انتشر عندما انتفض فجأة مستيقظا . جلس فى فراشه يحدق بعينين مفتوحتين على سعتيهما ــ فى ارجاء الفرفة ، كأنه يتوقع أن يرى نيرون لايزال هناك ، يبتسم له ويزعم صداقته .

كانت النافذة مفتوحة على مصراعيها . وكان البرد شديدا . فانزل قدمه على الارض ونظر الى ملابسه المجعدة . واخذ يعبث فى جيوبه فعثر على علبة سجائر . فأخرج سيجارة واشعلها وجلس على حافة الفراش . يجفل كلما سعل ، بسبب رباط الالم الذي أحس به من جديد حول جبهته .

وبعد أن نفث الدخان بضع مرات ، القى بالسيجارة من النافذة ولمح فى المرآة المثبتة فى مائدة التزيين خدين خشنين غير حليقين فحك ذقنه ومضى متعثرا الى الحمام ، ولكنه عندما التقط الموسى وجد يديه تهتزان بعنف ، حتى انه لم يجرؤ على اكمال حلاقته . ليس على الاقل قبل ان يتناول شرابا .

كانت زجاجة الشراب ترقد على جنبها أمام المدفئة الكهربية التى كانت لاتزال تتوهج فى حجرة الصالون ، لكن الزجاجة كانت خالية . فانحنى ليلتقطها واظلمت الدنيا عندئذ فى عينيه لحظات كشبه دوار انتابه ، لكنه حملها بطريقة آلية وسار بها عبر الفرفة وهو يتمتم لنفسه بكلمات غير مفهومة ، واسقطها بحذق فى سلة المهملات .

فتح دولاب الشراب ، واخذ يهز كل زجاجة بدورها . وتذكر أنه فعل ذلك من قبل ، كان ذلك فى وقت متأخر من الليل ، بعد أن أفرغ ما عنده من ويسكى . ووجد أنه لايزال فى حاجة الى النسيان الذى ينشده، فزحف على يديه وركبتيه الى دولاب الشراب وأخذ يجرع من الزجاجات نفسها .. خليطا من الجن والفودكا.. لم يترك شيئا الا وشرب منه .

تحول عبر الغرفة وأغلق المدفئة الكهربية ـ التى كانت قد نشرت من حوله جوا من الحرارة الشديدة . وتقدم الى المطبخ وهو يسائل نفسه هل ياترى يقدر على أن يصنع لنفسه قهوة قبل أن تنهار ساقاه ؟. ثم توقف وهو فى طريقه الى الباب عندما أحس بخفيه يطآن بعض شظايا من الزجاج .

كانت هى الصورة ذات اليدين المقطوعتين . فالتقطها ووضعها على المائدة ، وجهها الى أسفل ، فى الوقت الذى تناهى اليه فيه صوت مفتاح يدور فى باب الشقة .

بدت لويز امامه كانها تسبح ببطء داخل الغرفة ، تتألق فى تحركاتها على نحو جعله يغمض عينيه نصف اغماضة ..

حياها فى مثل زمجرة حيوان . فأمسكت بذراعيه وقالت بعصبية :

ـ هالو .. هل افتقدتنى ياحبيبى ؟

ثم قبلته فى جانب خده وما لبثت أن تافقت من رائحة شرابه . وقالت بخفة ، لم تغب غنه وراءها لمحة هستيرية :

ـ ماذا حدث لك .. هل سقطت فى دن خمار ؟

ـ أين كنت ؟ ..

ـ الم .. الم يقل لك عمى فرانسيس ؟ لقد حدثنى بأنه قادم اليك ليخبرك ..

فابتسم فى مرارة :

ـ أوه .. نعم ـ لقد أخبرنى . كانت حكاية مؤثرة .. لقد شغلنى القلق عليك كثيرا ..

بدا وجه لويز أكثر شحوبا ، وقالت :

مالك ياحبيبى . أثمة أمر خطأ ؟

فالتقط أورلاك الصورة ذات الزجاج المهشم ودفع بها أمـــام وجهها قائلا :

ـ لقد مكثت بعض الوقت اتطلع الى هذه !

فارتدت لويز الى الوراء مأخوذة . وخرج صوتها همسا :

ـ كم هو فظيع ؟!

ثم دفعت الصورة بعيدا وحولت رأسها ، وتساءلت :

ـ من .. من فعل ذلك ؟

ـ الا تعرفين ؟

ـ لا أتصور احـــدا ...

فصوب اليها اورلاك نظرات اتهام . كانت ثمة أفكار قدتواترت على ذهنه بصورة محكمة : لقد اشمازت منه ونفرت . وقضـــت الليل مع رجل آخر .. شخص آخر نظيف .. يستطيع ان يمحـو من ذاكرتها صورة جسمه وعقله المريضين .

ـ الا تتصورين حقا ؟ .

حدقت لويز فى وجهه بفزع :

ـ لا أظنك تعتقد أننى فعلت ذلك ؟!

ـ الم تفعليـــه ؟!

ـ كلا .. كلا .. بالطبع لا ..

كان صوتها قد ازداد حدة من فرط الذعر :

ـ يجب أن تصدقنى ياحبيبى .

ـ ولماذا أصدقك ؟!

بدا أنه لم يعد يهتم بشيء على الاطلاق . فأمسكت لويز به من ركتفه ، لكنه بقى متصلبا . فقالت فى يأس ..

ـ ستيفن .. يا اعز مخلوق لدى .. لاتتحول ضدى .. انـك فى حاجة الى !

استطاع عندئذ أن يخلى بين ذلك الرباط من الالم وبين جبهته وأن يفكر فيما قالته ، وما لبث أن قال بهدوء وتمعن

ـ اذا لم تكونى أنت .. فمن يكون ؟ ليس فرانسيس .. لاننى

وجدتها على هذا النحو قبل أن يحضر ... وعلى اية حال ؟ فلماذا يقدم فرانسيس على هذا الفعل ...

كانت لويز قد قطبت جبينها . ثم قالت ـ كأنما تشك في جدوى ما تقول :

ـ كان هناك بالطبع .. تلك المرأة ...

ـ اى امرأة ؟

ـ امرأة كانت ترتدى السواد ياستيفن ـ جاءت بالامس وقالت ان لديك شيئا يخص زوجها ..

ـ ماذا ..؟ تقصد الموسيقى ؟ تعلمين انني لا احسن رد الاشياء الى اصحابهـــــا .

قال ذلك وهو يهز رأسه حيرة .. لكنها بدت الآن يائسة تماما كأنما تندم على ما قالته :

ـ هذا هو الامر الغريب ياستيفن ، انها لم تذكر شيئا .

ـ وما هو اسمها ؟

أخذت لويز تتطلع يمينا ويسارا فى حيرة واضطراب ، متجنبة أن يلتقى بصرها ببصره ، ثم تحركت بعيدا وقالت :

ـ سأعد لك بعض القهوة ياحبيبى .. متى كـانت آخر مـرة تنـــاولت فيها ...

فتقدم اليها ويداه مبسوطتان أمامه ، وهو يكافح لئلا يفقـــد السيطرة على نفسه ، وهتف :

ـ ماهو اســـــمها !

لكن بدا له انه يعرف الجواب ، حتى قبل أن تهمس بصـــوت مفعم بالخـــوف :

ـ مدام فاسير !

تطلع اليها كالمخمور ، قد فارقت ساقيه قواهما . وبدا يشعر بأنه يترنح . فأمسكت بذراعه وقادته الى مقعد . وسمعها تقول ، وكأن صوتها يبدو كأنه آت من بعيد :

ـ انتظر هنا يا ستيفن .. استرح فى مقعدك ولا تتحرك ... حتى احضر اليك بعض القهوة .

لم يكن يشعر بالقهوة وهو يشربها . لكنها عندما انزلقت الى احشائه قوية لاذعة .. صفا ذهنه .. فقال فى اعياء

ـ بالطبع كانت هى .. هل تركتها وحدها ؟

ـ لا أعتقد .. أوه .. نعم ، تركتها بالطبع .. كانت على وشك أن تنفجر بالبكاء وهى تحدثنى عن زوجها الذى لقى منذ نحو عام ميته تبعث على الاسى ..

وما لبثت أن صمتت وتطلعت اليه ـ فقال بحدة

ـ استمرى ..

ـ ذهبت لاحضر لها قدحا من الماء .

فبدأ اورلاك يضحك فى هستيرية :

ـ هكذا اذن فعلتها !.. الا اذا لم تكن هى .. الا اذا كان نيرون.

ـ نيرون ؟!

امسكت لويز بقدح القهوة وهو يكاد يقع من يده لفرط انتفاضه ..

ـ اتعنى ذلك الرجل الرهيب الذى لقيته فى مارسيليا ؟

ـ من الممكن أن يكون هو .

ثم أسند أورلاك ظهره الى المقعد .. واخذ جسمه يختلج من نوبات ضحكه المفعم بالالم :

ـ لست ادرى كم من المرات جاء الى هنا .. لقد كان هنا الليلة الماضية ! ..

ـ هنا ؟ فى الشقة ؟

ـ لقد تبعنى الى لندن ، ويقول انه لن يتركنى ابدا ! .. انه يقول ..

وتملكته عندئذ نوبة طاغية . ماتت الكلمات على شفتيه وهو يشدد قبضتيه على مسند المقعد . ثم قفز على قدميه ومرق الى النافذة واصابعه تختلج مهتاجة ـ دون أن يجد فى نفسه قدرة على السيطرة عليها ـ وهى تحاول فتح مزلاج النافذة .. وما لبث أن امسك وتطلع الى يديه فى احتقار . ثم انبعث يضحك فى هستيرية في موجات متعاقبة من الالم المضنى . وتحول الى لويز قائلا :

ـ انه يقول .. انه صديقى !

واختطف زجاجة الويسكى الفارغة ورفعها فوق راسه وحاول أن يهوى بها فى ضربة تخفف المه .. لكنه لم يجد لدهشته قوة فى ذراعه .. فنزلت الزجاجة تحك عارضه بغير ضرر ، ثم سقطت على الارض . ووقف هو ـ قد تهدلت كتفاه وتعانقت يداه أمامه يحــــدق فيها .

وعندما جذبته نويز من كمه وقادته الى الاريكة ، لم يقاوم . كانت تفمغم بكلمات لتهون عليه وهى تغطيه ببطانية ـ لكنه لم يتاثر بكلماتها ، لم يكن يعى شيئا .. الا أن هناك على الوسادة التى وضع راسه عليها وردتين مطرزتين .. لكنهما لم يكونا فى صف واحــد . بدا له الامر بالغ الاهمية فجعل يحاول اخراج غرز الطرز بأظافر أصابعه !

كانت يداه هذه المرة ثابتتين كالصخرة .

كانت يداه هذه المرة ثابتتين كالصخرة .

قطع عليه جرس التليفون مهمته . فتطلع .. ليجد لدهشته أنه فك بأظافره خيوط الطرز من ثلاث وسائد . لم يكن ثمة من يرد على التليفون . فتحقق من أن لويز لابد قد خرجت .. لاحضـــار مزيد من الوسائد على الارجح ؟!

وجد نفسه يقول فى التليفون : هالو .. دون أن يعى تماما كيف وصـــــل اليه . ثم اردف :

ـ هالو .. من المتحـــــدث ؟

ـ هنا اردور ٥٧٨٠ . اننى اخبرك برقمى يامسيو أورلاك قبل أن تضع السماعة ـ اننى نيرون صديقك . هذا اذا أردت أن تتحدث الى صديقك نيرون . واننى موقن من انك تريد التحدث الى ..

رمى السماعة . واعتدل فى مكانه ، ثم نظر فى أرجاء الحجرة .. الى أغطية الوسائد المكومة .. الى دولاب الشراب الذى شاعت فيه الفوضى .. الى الزجاجة المطروحة على الارض . عجبــا .. ليس العهد بلويز أن تترك المكان أثناء النهار فى مثل هذا الاضطراب !..

ـ لويز !

لم يجبه أحد . بالطبع لا .. لن يجيبه احد . لقد خرجت ..

توجه الى الحمام وحلق ذقنه . واردور ٥٧٨٠ ؟ الافضل أن يتصل بهذا الرقم . نيرون لا يحب ان يخذله احد ! ليس من العدل ان يخذله .. منذ انتقل من عهدة سيدلمان الى عهدة نيرون .. وحجز التذاكر لحفلاته صار أفضل مما كان !! هذا الاحمق البدين سيدلمان ! اى جمهور !! لم يكن له جمهور طيع طيلة هذه السنين . لكنه الآن فى عهدة نيرون .. يجد الجمهور المثالى كلهم يلزمون الصمت . كلهم يصفقون فى اللحظة المناسبة !

واردور ٥٧٨٠ ؟ .. تطلع الى نفسه . الى سترته المجعدة ، وأخذ يضحك فى هدوء وخفوت . الحمد لله .. انها محادثة بالتليفون وليست وجها لوجه . ان نيرون لايحب الفوضى .. لايحب ان يظهر غير مهندم .. واردور ٥٧٨٠ ؟ .. سوى رباط عنقه .. وشعره .. والتقط السماعة وادار القرص . فسمع نيرون يقول :

ـ هالو .. نعم .. اننى أعرف من أنت !

وفجأة صحا عقله على هذا الصوت . جاءت صحوته كتحذير انبعث من قرارته .. فقال لنيرون فى لهجة آمرة :

ـ ماذا تريد أن تقول لى ؟

ـ المسألة خاصة بزوجتك يامسيو أورلاك . ان زوجتك الجميلة وعمها الوصى لديهما خطة صغيرة بشأنك ..

ـ خطة ؟ .. ماذا تعنى ؟

ـ الامر بسيط ياسيدى . انهما يتآمران على عزلك . يعتقدان أنك مجنون يامسيو أورلاك ؟

عاد أورلاك يرمى السماعة غاضبا . وتطلع فى اكتئاب الى يديه ، ملتويتين كالمخالب على حافة المكتب بجوار التليفون . مجنون ؟!.. ضحك وتطلع الى نفسه فى المرآة . ومن طرف فمه انزلق على ذقنه خيط من الرغوة البيضاء . لكم هو مهمل ! . لقد ظن انه جفف وجهه جيدا عقب الحلاقة . الحمد لله أن لاحظ ذلك . لن يكون فى صالحه أبدا ان يظهر كذلك عندما تأتى لويز ..

عاد مرة أخرى الى الحمام .

طاف اورلاك بحجرات البيت ، ينظم كلا منها ويرتب ما بها فى عناية .. ثم ارتدى قميصا نظيفا ورداء من دولاب ملابسه .. وعاد الى الصالون فأزال اثر الاضطراب فى دولاب الشراب . والقى بالزجاجات الفارغة بعيدا . ثم نظف المنافض ، وطوى اغطية الوسائد ووضعها بدقة وعناية على المائدة . ثم أعاد ترتيب الوسائد على الأريكة ..

وكان خلال ذلك ينصت متوقعا ان يسمع صوت المفتاح ولويز تديره فى قفل الباب . لكن اليوم مر عليه بطيئا . ومكث فترة يرقب الساعة وهى تتحرك تدريجيا من الواحدة الى الثانية والنصف .. وأخيرا قام وقد نفد صبره .. و .. قدم الساعة ساعة ! . وذهنه يهيب به أنه استطاع فى هذه الحركة السريعة الرائعة أن يحقق معجزة أعيت العلماء لقرون طويلة ! .

صنع لنفسه « توست » فى المطبخ عندما شعر بالجوع . وأعد اناء ضخما من الشاى جعل يشربه قدحا بعد قدح ، لا يكاد يشعر بفتور حرارته . وعندما كان يشرب قدحه الخامس لاحظ ان العتمة قد بدأت تنتشر . فأضاء مصباح مائدة بجواره . وشاهد ظلام الردهة ، فعبر الغرفة واضاء الضوء بجوار الباب الأمامى ، وشعر عندئذ بارتياح فجلس فى مقعد بالقرب من النافذة .

مكث ينتظر نصف ساعة ثم اسدل الستائر ، وبينما كان يفعل ذلك جاءه الصوت الذى كان فى انتظاره . فتحرك خلف الستائر ليخفى نفسه بينما دخلت لويز الغرفة :

— ستيفن ؟ .

لم يتحرك ..

— ستيفن ؟ .

رآها من فرجة بين الستائر تعبر الغرفة الى الممر الذى يؤدى الى حجرة النوم . وجاءه صوتها من ذلك البعد يناديه مرةاخرى .

وما لبثت ان عادت من غير معطفها وقبعتها ، والقت بحقيبتها على مقعد ، ثم نظرت الى الأريكة .. وبانت الحيرة على وجهها وهى

تلتقط احدى الوسائد .. ثم اتجهت صوب المائدة التى رصت فوقها الأغطية . وانتقل بصرها الى منفضة سجائر . وتجمد أورلاك وهو يشاهدها تلتقط منها سيجارة قد تآكل نصفها ولم تزل تحترق . ولم يلبث أن وجدها تتطلع الى مكمنه مباشرة .

دق جرس التليفون ، فأطفات السيجارة .. ثم تناولت السماعة :

ـ هالو .. أوه .. نعم يا عمى فرانسيس . منذ دقيقة واحدة فقط ..

ثم بعد فترة صمت :

ـ نعم .. حاولت الاتصال بك طيلة النهار . سكوتلانديارد ؟ . لكننى قد جئت من هناك لتوى .. انت ماذا ؟ . علبتك الذهبية . تعنى أن بصمات أصابعه عليها .. فهمت .. حسنا .. لقد قلت له .. نعم .. نعم يا عمى .. انه ...

خرج أورلاك من خلف الستائر .. كان ظهرها ناحيته . وبدأ يشعر بالقوة تدب فى يديه وتجعلهما تهتزان فى ايقاع واحد ، كاختلاجات نبض ضخم .

ـ نعم .. يجب وقفه .. ان ستيفن قد جن .. سيفعلون ذلك .. الليلة ؟ . أوه .. الحمد لله .. لكم يبعث هذا على الارتياح ..

كان عندئذ يقف على مسافة متر واحد خلفها ..

ـ كلا .. كلا يا عمى .. انه ليس هنا .. أعتقد أنه ...

ثم امسكت .. اذ انبعثت منها صرخة مخنوقة ، وأورلاك يمد يده من خلفها ويتناول السماعة من يدها .. ثم يضعها فى مكانها .

حاولت لويز أن تتراجع فى ذعر فأمسك بمعصمها فى قوة أطلقت بسببها صرخة ألم ، ثم دفعها عبر الغرفة الى الأريكة .. ووقف على راسها وهى متكومة هناك ، تحاول أن تبعد نفسها عن متناوله الى اقصى ما تستطيع .

وانبعث يضحك :

ـ اذن فقد ذهبت الى البوليس يالويز .. كم كنت احمق ؟ .

واخذ يقلد صوتها فى سخرية :

ـ لا تتحول ضدى يا ستيفن .. انك فى حاجة الى .. أتذكرين .. وبعد ذلك تذهبين مباشرة الى البوليس .

هزت لويس رأسها فى يأس :

ـ نعم .. لكننى لم أذهب الى البوليس بسببك .. بل بسبب نيرون .. ذهبتُ الى موريس أولا ، وقد استطاع أن يعرف أين يعمل نيرون .. انه فى ناد صغير حقير بحى سوهو ..

ـ انك تكذبين يا لويز .. لقد تجولت بالأمس فى كل شبر من سوهو ..

ـ انتى أقول الحق .. انه يعمل فى ملهى يدعى « اندفليكس » وعندما وصلت الى هناك شاهدت تلك الفتاة ..

ـ أى فتاة ؟.

ـ مدام فاسير .. التى جاءت هنا ! .

تطلع اورلاك اليها ببرود :

ـ لا فائدة يا لويز .. لست اعتقد ان هناك من تدعى مدام أفاسير ..

ـ كلا يا ستيفن .. ليس هناك حقا .. لكنها تلك الفتاة شريكة نيرون .. لقد عرفتها بمجرد أن رايتها تجرى (بروفة) . وذلك الجزء المقطوع من الصورة .. كان فى حجرتها ! .

ـ وأين هو الآن ؟ .

ـ لست .. لست أدرى .. أعتقد انه لا يزال هناك .. لكن .. هذا كله لم يعد مهما ياستيفن .. عندما كان عمى فرانسيس هنا ، أخذ بصمات أصابعك . وقد كتبت سكوتلانديارد الى باريس للحصول على ...

فأهوى بقبضته على طرف الأريكة ، وهتف :

ـ لا فائدة يا لويز .. لقد تحدث الى نيرون بالتليفون واخبرنى بالحقيقة .. أعتقد انك كنت تدبرين كل ذلك بالأمس .

ـ كـلا ! .

ـ بالامس .. وانت فى مستشفى ماريلبون تحت المراقبة .. اتصلت بهم يا لويز ..

ثم ضحك مفاخرا ، واردف :

ـ لم تدركي بالطبع انني سافكر في ذلك .. لم يكن هناك من يدعي مدام اورلاك في المستشفى .. هل لا زلت تصرين على هذه الكذبة ؟ .

ـ كلا ! .

صاحت لويز بذلك وهي تنزع نفسها انتزاعا من الاريكة ، وعيناها تنتقلان بسرعة يمينا ويسارا بحثا عن مهرب .

ـ كلا .. لم اكن في المستشفى .. لقد كذبت عليك في هذا ، او كذب عليك عمي فرانسيس . لقد كنت في باريس ..

فقال اورلاك ساخرا :

ـ او في القمر ! .

ـ ذهبت لأقابل فولشيف . كنت اريد ان أسأله عن .. لكنني لم أستطع ! . كان مريضا ، مريضا جدا .. لقد رأيته .. وكان يبدو على وشك الموت ..

ـ شيء مقنع تماما ! . لكن .. لست مضطرة الى الذهاب لباريس كي تطمئني على فولشيف .. لقد عرفت امره بالتليفون ، وانت فعلت نفس الشيء يا لويز .. اذن فماذا كنت تفعلين حقا بالأمس ؟ ! .

ـ ستيفن ..

ارتفع صوتها في صرخة :

ـ ستيفن .. يجب ان تصدقني يا حبيبي .

ـ لست أصدق كلمة واحدة من كلماتك منذ دخلت من هذا الباب .

ـ ماذا .. ماذا ستفعل ؟ ! .

كانت عيناها عندئذ مثبتتين في هلع على يديه .. ترقب وهي ماخوذة في فزع نبض اختلاجهما والأصابع تنقبض وتنبسط .. انحنى عليها .. لا يكاد يجد القدرة على التحدث بعد ان انصرفت قواه كلها فجأة من جسمه الى أطراف أصابعه .. وهمس :

ـ ألم تخمني بعد ؟ ! .

ـ ستيفن .. ارجوك .. انك لا تفهم .. يا حبيبي ..

ـ لا افهم ؟ . ولكننى ليس لى دور فى هذا .. اننى لا أريد أن أوذيك .. لكن ما فعلته أنت كان خيـانة لفاسير .. وفاسير لا رحمة عنده ! .

فتمهل هنيهة :

رأى عينيها تمتلئان دموعا ..

ـ ستيفن .. ستيفن .. الا استطيع أن أقول شيئا ؟ .

فهز رأسه ..

ـ لا شيء يغير من فاسير ! .

وفجأة توقفت عن بذل كل جهد فى التراجع أمام يديه المشرعتين .. كأنما ركبها الاعياء ولحقتها الهزيمة .. وقالت فى هدوء :

ـ اعتقد اننى استطيع أن اقاومك قليلا .. لكنك أقوى منى .

ثم مدت يديها ، وقد شحب لونها ، وقسرت شفتيها على أن تنفرجا فى ابتسامة .. وأخذت ذراعيه من العصمين ، وجعلتهما على عنقها :

ـ والآن .. أقدم .. اذا اردت .. ان يديك على عنقى .. انهما يداك يا حبيبى لا يداه .. أتظن اننى لا أعرفهما .. انظر فى عينى .. واذا كان ثمة ذرة فى عقلك المسكين لم يكتنفها الغمام بعد ، فسترى اننى أحبك ! . سترى أننى احببتك دائما .. واننى لن أفعل شيئا يضرك أبدا ! .

لـكن الـكلمات الآن لم يعـد لها سـلطان .. حاول أورلاك مستميتا .. بذلك الخيط الرفيع من التعقل الذى بقى له ، أن يحمل يديه على التراجع ، لـكنه أدرك فى الوقت نفسه أنه يكافح قوة قاهرة ..

شعر بيديه تتصلب .. وأحس بدفء عنقها وهما تفوران فيه .. ولمح انتفاضة صدرها .. انتفاضة مفعمة بالألم وهى تـكافح من أجل الهواء ..

دق جرس الباب ، فبدا كصرخـة انبعثت فجأة ، فتراجعت يدا أورلاك بسرعة الى جنبيه ، وهو يسمع صوت الدكتور كوشران يقول من الخارج :

ـ لويز .. هل أنت بخير ؟ ..

أحس بشفتيه ترتدان الى داخل فمه حتى انفرجت فيهما أطراف أسنانه ، وتطلعت اليه لويز بنظرة ملؤها الرعب ، وهي تمر بيديها على عنقها .. ثم صاحت :

ـ كلا يا ستيفن .. أرجوك .. ليس عمي فرانسيس !

وأمسكت بيديه ، وحاولت أن تعيدهما الى حيث كانا .

ـ هاك .. افعل ما بدا لك .. لكن ليس ...

غير أنه انفلت بعيدا وسار ببطء الى الباب ، ثم توقف برهة ويده على مقبضه ، وفتحه فجأة على مصراعيه وهو يمد يديه الى عنق الدكتور كوشران ..

لكنه سرعان ما توقف عندما لمح بجواره رجلين ..

وقال الدكتور كوشران وهو يتحرك ليمرق من جانبه !

ـ أين لويز ؟..

فتنحى له أورلاك في اعياء ، وهو يهز رأسه مشيرا الى الصالون فسرعان ما تجاوزه الدكتور وأحد الرجلين ، بينما اغلق الرجل الثاني الباب ووقف وظهره اليه ..

وفي الصالون كانت لويز تقف ، لكنها ما لبثت أن انهارت بين ذراعي الدكتور كوشران ، ونظر أورلاك الى يديه المهتزتين ، ثم ضحك ، وابتدره الرجل :

ـ انني ضابط بوليس يا مسيو أورلاك .. أريد أن اتحدث اليك ..

ـ أوه ..

ـ اسمي هندرسون .. مفتش بالبوليس .. يجب أن تأتي ..

فغمغم أورلاك مقاطعا :

ـ سآتي بمعطفي ..

وتحرك ببطء في الغرفة متجاهلا لويز والدكتور .. ثم توجه عبر الممر الى غرفة النوم ، بدأت الأمور تتضح في ذهنه بصورة مخيفة أرسلت في جسده قشعريرة ، تحقق مما حدث .. عرف أين الحقيقة .. أراد أن يعود الى الصالون ، ويأخذ لويز بين ذراعيه ، ثم يحاول أن ...

لـكن ما الفائدة .. لقد تجاوز المدى .. وحتى اذا استطاع أن يحملها على تفهم الأمر .. فأى جدوى فى هذا ؟ سيكسب اربعا وعشرين ساعة أخرى ـ وربما أسبوعا ـ الى أن تختلج يدا فاسير مرة أخرى فى ذراعيه .. بتأثير نيرون !

نيرون .. !

كان قد تناول المعطف من الدولاب ، لـكنه وضعـه الآن على الفراش ، وعبر الغرفة الى النافذة ، ففتحها على مصراعيها وتطلع الى ماسورة المياه الى جانب حافتها. أيستطيع أن يفعل بنفسه ما فعله نيرون .. ربما .

كانت الظلمة من تحتـه كمغارة تتثاءب لابتلاعه فارتقى حافة النافذة .. ثم مد يده الى ماسـورة الميـاه ، وجعل احدى يديه خلفها .. ثم دفع بجسمه الى الخارج بحرص .. بوصة ، بوصة، الى أن تدلت ساقاه .. والتحمت أطراف أصـابعه فى الحـذاء بالماسورة والتفت عليها . فالتصقت بها ركبتاه . ثم بدأ يدلى نفسه .. دون أن يجرؤ على النظر الى أسفل ..

ـ يا الهى .. !

سمع الصيحة من فوقه ، وتطلع الى المفتش هندرسون الذى بدا كالظل من ضوء الغرفة الساطع ، فهبط بسرعة بضعة اقدام أخرى .. ومر بنافذة ثانية ، ثم نظر الى أعلى من جديد . كان الظل قد اختفى ، لكنه كان يسـمع صـياحا من فوق ، ثم عاد هندرسون ، ومعه لويز هذه المرة .

ـ ستيفن .. أين أنت يا ستيفن .. عد حالا ..

فازداد هبوطا ..

ـ أرجوك يا ستيفن .. عد ارجوك ..

فضحك ، وكاد يفقد قبضته على المـاسورة من فرط اهتزاز بدنه وصاح :

ـ ولمـاذا اعود .. لـكى يلقى على القبض ؟ !..

ورد عليه صوت المفتش هندرسون :

ـ مستر أورلاك !.. لن يقدم أحد على ..

أسقط نفسه ، واخذ يحرك ذراعيه بشدة ليحتفظ بتوازنه وهبط على ساقيه في الوقت المناسب ، لكن وقع سقطته على الطوار كان شديدا حتى انه حسب أن ساقيه كسرتا .. وكفاته السقطة الى الامام فاشرع يديه ليحمى وجهه من الارتضاض ، ثم أقام نفسه حتى أعتدل ، وكانت لويز والمفتش هندرسون في النافذة قد انضم اليهما الدكتور كوشران .. لكن ما لبث الثلاثة ان اختفوا فجأة .. فادرك انه لم يعد أمامه لحظة يضيعها ، وشرع يعدو رغم الألم في ساقيه ، الى منعطف الشارع ، والى سيل السيارات الذى يتدفق صوب نايتسبريدج .

ـ تاكسى !

لم تستجب له اول سيارة أجرة عابرة ، وتطلع فشاهد شخصا يعدو في الطريق اليه ، لا تكاد تفصل بينهما سوى مائة ياردة ، فلوح كالمحموم الى سيارة أخرى واندفع من حيث كان على جانب الطوار ليقطع عليها الطريق ، فتوقفت السيارة فجأة واطل منها السائق وهو يهتف به :

ـ ستعرض نفسك لخطر الدهم بهذه الطريقة ايها الصديق ! انك لمحظوظ ان وجدتنى مفتوح العينين

اعتذر له اورلاك وخطف نظرة الى الوراء مرة اخرى ، فشاهد المفتش هندرسون عند المنعطف ، فما لبث أن فتح باب السيارة وهو يقول :

ـ الى سوهو .. بأسرع ما تستطيع .

ـ حسنا .. وانك لمحظوظ الا تجد نفسك في طريقك الى المستشفى .. اى ناحية في سوهو ؟..

ـ لحظة واحدة ..

كان أورلاك عندئذ يتطلع من نافذة السيارة الخلفية ، ليرى هندرسون يلوح لسيارة اجرة ، وما لبث ان هتف بالسائق :

ـ امض بأسرع مما تستطيع .. اريد أن تضلل تلك السيارة من خلفنا فلا تتبعنا ..

ـ حسنا ، لكننى لااضمن لك شيئا ، فى زحمة المرور هذه

اهتزت السيارة وهى تندفع الى الامام ، لكنها ما لبثت أن توقفت فجأة وراء أوتوبيس .. ورأى أورلاك السيارة الاخرى تخفف من سيرها ، وكان ثمة سيارتان بينهما فى سيل المرور .. وشاهد بابها يفتح ، فاستدار محموما يتساءل فى قرارته هل من الافضل أن ينزلق خارج السيارة بدوره ويروغ من بين كل تلك السيارات الواقفة ، الى الجانب البعيد من الطريق .

لكن الاوتوبيس أمامه تحرك فجأة ، فانعطف سائق سيارته فى شارع جانبى ، ثم انحرف أيضا الى اليسار ومضى فى طريق ضيق ..

ـ حسنا فعلت ..

قالها اورلاك مشجعا .. فرد عليه السائق :

ـ لا تفرط فى الثقة .. ان هذا الطريق لا يؤدى بنا الى اى مكان .. انه يعيدنا الى الشارع الرئيسى ..

ـ وما قصدك من ذلك ؟..

فضحك السائق وقال :

ـ اريد ان أكون وراءه .. انه لا يستطيع أن يستدير ، وكل ما علينا أن نختار لنا انعطافة حقيقية هذه المرة ، بينما يظل هو يمضى قاطعا طريقه الى بيكاديللى ..

فمال أورلاك الى الامام فى مقعده ، حتى انعطفا مرتين واتجها الى الشارع الرئيسى . كان السائق محقا تماما .. فقد كان الطريق الذى يسير فيه زقاقا يبدو فى اتصاله بالشارع الرئيسى كالهلال مفتوح الطرفين ، وما لبث ان شاهد الشارع الرئيسى من جديد ، مزدحما بسياراته .

ووصلا الى المنعطف ، فمرت من جوارهما سيارتان ببطء.. فتساءل السائق :

ـ هل هى احدى هاتين السيارتين ؟..

ـ اعتقد ذلك .. اظن انها السيارة الثانية ..

ـ اذن فقد كانوا اسرع مما اعتقد .. فلنمض الآن ..

وأطلق بوق سيارته وانضم الى حركة المرور ؟ وكان ثمة ثلاث سيارات أخرى بينهما ، وبين سيارة هندرسون ، فتطلع أورلاك من النافذة براسه ، ووجد فى نفس اللحظة أن هندرسون يخرج رؤسه من السيارة التى أمامه ويتطلع نحوه ..

وعندئذ أخرج أورلاك ورقة مالية من حافظته ، والقى بها من فوق كتف السائق لتسقط فى حجره ، وصاح به يشكره ، ثم قفز من الباب فى الوقت الذى ربطت فيه سيارة نقل كبيرة على فراملها حتى لاتصطدم به بينما انحرف أورلاك ليلوذ برصيف المرور القائم فى منتصف الطريق .. واستطاع من مكانه أن يلمح هندرسون وقد خرج بدوره من سيارته ، وأخذ يتحين الفرصة ليمرق من بين السيارات العابرة ..

غامر أورلاك ، فاندفع فى مسافة ضيقة بين أوتوبيسين يسيران جنبا الى جنب ، وأخذ يعدو معهما ، ثم انحرف الى الجانب الآخر وقفز على الطوار ، وتطلع من جديد ليرى المفتش هندرسون يقف الآن على رصيف المرور ..

أخـــذ يمرق من بين السابلة .. الى محطة نايتسبريدج ، فدخلها مهرولا ، وأخـــذ يبحث فى جيوبه عن عملات صغيرة ، ثم هبط الدرج معجلا الى قلب المحطـــة ، واندفع ليـلحق فى آخر لحظة بقطار متجه الى الشرق ، قفز فيه قبل أن تنغلق أبوابه .. والقى بنفسه فى مقعد وهو يتنفس الصعداء .

وما لبث ان ســمع صوتا بجواره :

ــ معـــذرة ..

كانت أعصابه متوترة الى الحد الذى أوشك معه آن يقفز .. واذا بامرأة بجانبه قد مدت يدها اليه بكتاب وقلم ..

ــ انت ستيفن أورلاك .. أليس كذلك ؟ هل تسمح بالتوقيع لى فى هذا الأوتوجراف ؟..

فوقع فى عجلة ، بأصابع مرتعدة ..

نزل اورلاك من القطار في ميدان ليكستر ، واتجه شمالا الى سوهو ، وتوقف عند أحد اكشاك التليفون ليعرف عنوان النادى الذى سمع باسمه من لويز « اندفليكس » ..

كان الملهى يقع فى شارع اغفله تماما فى بحثه السابق عن نيرون ، وعند ما وجده لم يدهش لأنه كان شارعا لا تدب فيه الحياة . كانت المحال على الطوارين مغلقة ، وكانت نهاية الطريق مسدودة بمخزن . أما مدخل الملهى فكان مدخل حانوت عادى ، على واجهته مصباح كهربى خافت ، يضىء لافتة .

وعندما أوشك أن يقترب من الملهى ، جاءت سيارة الى الطريق فاختبأ أورلاك فى أحد أبواب المحال ، ولمح السيارة تتوقف تجاه مدخل الملهى ويهبط منها المفتش هندرسون ، يتبعه رجل آخر ، ثم يتخذان طريقهما على الطوار فى خطوات متسقة .. الى داخل الملهى ..

تحرك أورلاك ليزداد قربا من المدخل ، فاكتشف ممرا ضيقا يحاذيه ، وما لبث أن خطا فيه بضع خطوات ليجد نفسه فى مواجهة باب آخر ، قد فتح قليلا ، فدفعه ومضى فى ممر آخر ضيق ، بعد أن تناهت اليه ضجة الموسيقى والاحاديث ..

وجد ستارا أمامه فدفعه ، واذ به وجها لوجه امام ريجينا .. كان الضوء ساطعا ، فتعرف كلاهما على الآخر بسرعة ، ورفعت ريجينا على الفور يدها الى فمها وحاولت أن تتراجع من حيث جاءت ، لكن اورلاك أمسك بها من معصمها . وقال فى تجهم :

ــ طاب مساؤك يا مدام فاسير ! .

ــ لست أدرى ماذا تقصد !

حاولت أن تخلص نفسها من قبضته ، وفى الوقت نفسه تبحث بعينيها عن مهرب ، فدفع بقدمه بابا من خلفها وهو يقول :

ــ هل هذه حجرتك ؟..

فأومأت برأسها ، وقد ابيض وجهها !

ـ نيرون .. أين هو ؟..

فقالت بضعف :

ـ على خشبة المسرح ..

فدفع بها الى داخل الحجرة ، كانت صغيرة رثة باردة قد انتشرت فيها رائحة عطر رخيص ، ووجد الجزء المقطوع من صورته مثبتا فى حافة المرآة ، بجوار زهرة صناعية مزركشة ..

فأشار نحوه :

ـ اذن .. فأنت تنكرين انك قمت بدور مدام فاسير ..

تطلعت اليه فى خوف وقالت :

ـ حسنا اذن .. لقد فعلت .. لكن الفكرة لم تكن فكرتى لقد اضطرنى الى ذلك ..

ثم تعلقت به من كتفه :

ـ أنت لا تدرى هول ما مر بى .. اننى أعيش مع وحش ضار .. انه يمتلىء غبطة وسعادة من ايذاء الناس ، لا سيما ايذائى .. ثم .. هناك أنت ..

وارتعدت :

ـ انه لا يريد منك مالا .. مجرد قوة .. قوة على الضرر والايذاء .. ليحملك على أن تفعل ما يأمرك به .

ـ لكن لماذا .. لماذا ؟..

فهزت كتفيها :

ـ لماذا يسعى الانسان وراء القوة ؟ ان نيرون كان عازفا على الكمان يوما ما ..

فلاحت الحيرة فى وجهه ، وهو لايدرى الصلة بين هذا وذاك .

ـ انه يقول انهم سلبوه فرصته .. ان الحسد هو الذى جعله هكذا ، مثلما جعله حب المال ..

ثم أضاء وجهها :

ـ لكنهم سيأتون لاعتقاله ..

ونظرت اليه فى دهشة ، اذ لم يبد عليه انه ادرك ما تعنيه ..

واستطردت :

ـ البوليس بالطبع .. الم تعلم ؟..

ـ من أين لى أن أعلم ؟..

ـ السيدة .. الم تقل لك السيدة .. زوجتك .. لقد جاءت الى بعد ظهر اليوم .. وقالت انها ستعمل على ارسال البوليس..

وفجأة عاد الخوف الى ملامحها وصوتها :

ـ لكن نيرون سمع ما كنا نقول .. وهدد بأنه اذا أحضر البوليس ..

واتسعت حدقتاها وأردفت :

ـ لماذا لا يأتون يا سيدى ؟..

ـ انهم هنا الآن يا ريجينا ..

وكان ذهنه الآن يسابق الأحداث !

ـ لقد جاءوا فى نفس اللحظة التى جئت فيها .. ودخلوا الملهى

ثم أمسك بها من كتفيها وهتف :

ـ اخبرينى يا ريجينا .. ما مقدار صلتك بنيرون ؟..

ـ اتريد أن ترى ما لحق بجسمى من رضوض .. نتيجة معاملته ؟ ..

ـ اعنى منذ متى تعرفينه ؟..

ـ عامين .. أو ربما ثلاثة أعوام .. لست ادرى بالضبط..

ما قيمة الوقت مادام قد نجح فى ان يجعلنى كالعروسة اللعبة اأتمر بامره ؟

ـ اذن اخبرينى بسرعة ، قبل ان يعود ، هل سبق أن ذكر لك شيئا عن فاسير .. هل كان يعرف فاسير حقا ؟

فهزت رأسها نفيا :

ـ كلا . لم يكن يعرف فاسير . اننى موقنة من ذلك ، لاننى كنت معه ساعة ان كان يتحدث بخطته . لقد اراد أن يوقعك فى فخ بعد أن يستخدمنى كطعم . ثم حملنى على أن اذهب الى زوجتك بعد أن ادعيت اننى مدام فاسير ..

وتوقفت عندما تصاعدت نغمات عالية من المسرح .واتسعت عيناها من الفزع :

ـ هذا دليلى يا سيدى .. اما الان ، وقد عرف نيرون اننى

تحدثت الى زوجتك ، فصـل من أجلى ! . ادع الله أن يكون البوليس يراقب كل شيء .

وتحركت صوب الباب وفتحته .. فابتدرها :

ــ الأفضل لك أن تبقى ..

لكنها هزت راسها .

مكث أورلاك ينتظر حتى تناهى اليه من وراء الستار فى نهاية الممر صوت تصفيق متناثر يحيى به الرواد ريجينا عند ظهورها. ثم تطلع الى يدى فاسير فى ذراعيه وعرف بيقين تام ما سيفعله بالضبط .. ترك قياده لليدين .. وصار ذهنه نظيفـا ، باردا ، خاليا من كل فكر .. متحررا من كل تردد أو شك.

غادر الحجرة واقترب من الستارة فى نهاية الممر ، فازاحها بعض الشيء .. ووجد انه فى جانب مسرح صـغير ، كان نيرون قائما فى وسطه .. الى جانب صندوق كبير ضخم . اما ريجينا فكانت تنحنى للجمهور وتخرج فى الوقت نفسه عصائب وخيـوطا ملونة من صندوق صغير على مائدة .

ومالبث ان راى نيرون يتقدم من ريجينا ويضع حول فمهـا عصابته ، ثم ينحنى ليربط قدميها من الكعبين فادرك أنه سيقوم باللعبة المألوفة ــ لعبة السيوف ــ التى سـيدفع بها خلال الصندوق الكبير لتخترقه بينما تكون ريجينا بداخله ــ دون أن تصاب بأذى .

ربط نيرون ذراعى ريجينا من الرسغين .. وابتسم وانحنى للحضور ، واخذ يستحثها على التراجع خطوة خطوة ، لتدخل الصندوق . وعندئذ ، لمح اورلاك نظرات ذعر طاغ فى عينى الفتاة.

حاول ان يزيح الستارة اكثر ، على امل أن يجد هندرسون ورفيقه . لكنه ما لبث أن تراجع عندما شعر من نبض يديه أن رجال البوليس هم فى الواقع آخر من يريد رؤياهم الآن. ليس بعد على اية حال ..

اغلق نيرون الصندوق . واخذ الجمهور الذى بدأ يشـعر بالسأم يصفق تمهيدا لبدء العمل ــ بينما دقت الطبول دقاتهـا المتوالية ، فدفع نيرون بأول سيف من ثغرة فى جانب الصندوق.

وعبر المسرح واقترب من الصندوق من الناحية الاخرى ، ودفع فيه بالسيف الثانى .

ثم انحنى وتقدم الى صدر المسرح وهو يمسك بالسيف الثالث . رفعه فلمع على سنانه انعكاس الضوء ، واستدار ودسه فى الباب الامامى للصندوق . ثم انحنى مرة أخرى ، بينما ارتفع تصفيق خفيف من نهاية المسرح ، وانسل من بين الستائر .

وخفت التصفيق ، وكذلك الموسيقى ـ كأنما كان قائد الاوركسترا يتوقع المزيد من نيرون ، ولا يدرى ماذا يفعل بالضبط وفجأة ، انبعثت صرخة امرأة من حيث لايرى أورلاك . وقفز هندرسون على خشبة المسرح ، وهرول صوب الصندوق ، وعندئذ فقط لمح اورلاك خيوطا من الدم تتسرب من قاعه نحو اضواء المسرح الامامية . وفتح المفتش باب الصندوق وشاهد أورلاك فى لمحة اخرى ريجينا وقد جمدت عيناها هولا ، بينما الدم يتدفق من معدتها وفخذيها .

تحول اورلاك عندما سمع وقع خطوات بالقرب منه . وظهر نيرون من أحد أبواب الممر ، وهو يخلع عنه عباءة الساحر بعنف حتى تكاد تتمزق ، ثم اندفع كالسهم الى حجرة تغيير الملابس.

تقدم اورلاك بسرعة وعزم ، ثلاث خطوات قطعها فى غير ضجة ، أوصلته الى باب الحجرة . فتحه وانسل الى الداخل ، ثم أغلقه وأقفل الباب بالمفتاح ، واخرجه منه . وهنا فقط سمع نيرون صوت المفتاح يسحب . كان يمسح عن وجهه بسرعة مساحيق الدور ، فاستدار ورأى اورلاك عند الباب .

تواجها مرة اخرى فى لحظة صمت . شعر اورلاك بساقيه تضعفان وهو يرى نيرون على ذلك القرب . وجاهد ليحول عينيه عن تلك النظرات المحدقة التى كان يعلم جيدا أنها ستخلع عنه كل قواه .

مد نيرون احدى يديه وهتف :

ـ أعطنى هذا المفتاح !

لم يجب أورلاك . امتنع عليه اللسان . شعر بنفسه من جديد يتحول الى مجرد وسيلة وأداة ليديه . اذ بهما تتصاعدان من

جنبيه ؟ اصابعهما تنفرج وتنقبض وتشقان الهواء . ثم تقفـزان فجأة الى الامام صوب نيرون ، الذى تراجع وتعثر فى مقعد. لكنه ما لبث أن انحنى وتناول المقعد ورفعه فوق رأسه .

انقض عليه اورلاك فى الوقت الذى طوح فيه بالمقعد ، فمر من فوق رأسه . وامتدت اليدان الى عنق الرجل الطويل . لـكن نيرون التف فجأة ودفع بركبتيه فى احشاء اورلاك ، فى ضربة اليمة قذفت به ، وهوت برأسه على زجاج مائدةالتزيين فتحطم وتطايرت شظاياه .

قام يتطوح ، فى نفس الوقت كان نيرون يقذفه بالمقعد . لكنه افلت من يده بشدة ، وبدلا من أن يندفع المقعد صوبه ، وجـد أورلاك نيرون مندفعا اليه فامسك به من كتفه بينما كانت عينـا نيرون تحدقان ، وانفاسه تتلاحق ، وسدد الى عنقه لـكمة بكل قواه . ثم سقط الى الوراء عندما دفع الرجل الطويل بركبته فى امعائه من جديد . وتطوحت ذراعاه تبحثان عن شىء يستند اليه، وما لبث أن أسقط فى محاولته حفظ توازنه كل ما عثرت به يداه من عرائس (وأحقـاق) وزجاجات . فالتقــط نيرون احدى الزجاجات من عنقها وشرع يتقدم وهو يلوح بها فى وجهه .

أخذ اورلاك ، والزجاجة تقترب منه، يرفس برجليه كالمحموم، وقد اسند جسمه الى مرفقيه على حافة مائدة التزيين. وشهق نيرون اذ تلقى ركلة فى بطنه ، طوحت به عبر الغرفة بقوة الىالباب، فاصطدم مؤخر ظهره بالمقبض ، واطلق صرخة الم وهو يبتعد .. ويده على ظهره ، بينما كان اورلاك قد اشرع ذراعيه ليقتله .

سمع صيحات وهرولة اقدام فى الخارج ، لـكنه لم يعبأ . وأمسك بنيرون من عنقه واسقطه على الارض متجاهلا الضربات التى ما فتىء يسددها اليه من قبضتيه المعروقتين، ثم رأى اللعن يطل من عينيه .. بينما كان هو يزداد ضغطا على عنقه ويقـول كذا على اسنانه .

ـ قد كنت أنت !.. انت .. كانت بريئة .. كانت مجـرد ضحية اخرى . رأيت ذلك فى عينيها .. كنت أنت .. انت !

انبعثت من حلق نيرون خشخشة اختناق . وانثال خيط من

الزبد على شفتيه فأطلق اورلاك صيحة انتصار وجعل يشدد الضغط ملقيا بكل ثقله ، ليفرغ من مهمته .

وفتح الباب فجأة . ورأى اورلاك فى لمحة خاطفة المفتش هندرسون يقف على الباب ، ووراءه رجال البوليس . واذا بأيد قوية تمسك بذراعيه من الرسغين ، وترفعه قائما على قدميه ، وهندرسون يصيح :

ــ حسنا .. حسنا .. هذا يكفى .. سنتولى أمره .

جاهد اورلاك ليصل الى الرجل من جديد وهو يصرخ :

ــ دعونى امسك به !

لكنهم كانوا قد جروا نيرون وأقاموه بدوره على قدميه ، وهو يشهق فى طلب الهواء وقد تقبضت اصابعه على عنقه .

وقال المفتش :

ــ الافضل ان تدع ذلك للقانون يا سيدى .

وشعر اورلاك بالقوة تفارق يديه .. فمدهما فى استسلام من غير ان يرفع بصره عن الارض . لكن لم يحدث شىء ! فما لبث ان رفع بصره ليلتقى ببصر هندرسون وتساءل :

ــ آلن تقبضوا على ؟

فقال هندرسون فى هدوء :

ــ كلا .. لست اعتقد ذلك .

ــ الافضل ان تفعل .

قالها اورلاك ثم تطلع من جديد الى يديه ، بادية الندوب . فقد شاع الشحوب فيهما من فرط تشديد قبضتيهما على عنق نيرون . واستطرد :

ــ الم تخبركم زوجتى ؟ لقد حاولت قتلها . اننى لست مأمون الجانب !

ومد يديه من جديد ، لكن هندرسون لم يعبأ بهما ، فصاح فى عصبية :

ــ الا تسمعنى ؟! انهما هاتان اليدان .. اننى لا استطيع السيطرة عليهما .

فأخرج هندرسون صحيفة من الورق من جيبه . وقال :

ـ ليس ثمة عيب فى يديك يا مستر اورلاك . الافضل ان تقرأ هذه .

وقدم له الورقة . ولاحظ اورلاك ان الغرفة التى كانت قد اكتظت بالوافدين قد خلت الآن الا منه ومن هندرسون . فنظر الى الورقة وقرأها . لكنه لم يفهم لكلماتها معنى ، فتساءل عما تفيد ، وأجابه المفتش :

ـ انها من ادارة الامن فى باريس يا سيدى . لقد ارسلنا بصماتك لمضاهاتها على بصمات فاسير . لنعرف هل هاتان اليدان تنتميان فعلا الى ذلك القاتل . كانت تلك فكرة زوجتك .. والدكتور كوشران .

فتساءل اورلاك فى نبرة من لا يساوره اقل شك ..

ـ حسنا .. وهل وجدتها متطابقة ؟

قال ذلك فى عدم اكتراث ، كأن الموضوع لم يعد يهمه !

ـ نعم .. كانت متطابقة يا سيدى .. الا ان ..

فانفجر اورلاك :

ـ كنت أعلم ذلك !

ثم شرع يقبض بكل يد على اليد الاخرى كالمحموم ، كانما يريد ان ينتزعها من المعصم . وانبثق الدم عندما غارت بعض اظافره فى ندبة من الندوب المنتشرة . فخف اليه هندرسون ليمنعه ، وانتهره صائحا وهو يدع الورقة تسقط من يديه ويفصل يدى اورلاك احداهما عن الاخرى :

ـ كف عن ذلك ! ليس من شأنك و لايهمك ابدا أنها متطابقة! لقد أعيد النظر من جديد فى قضية لوى فاسير ..

ترك اورلاك يديه تسقطان الى جنبيه ـ كأنهما مخدرتان .. وتساءل فى غير فهم ..

ـ ماذا ؟.

ـ انها قضية ملعونة ياسيدى لكن لم يعد ثمة شك فيها على ما يبدو . لقد كان المسكين بريئا !

ـ بريئا ؟

ـ نعم .. وقد تمكنوا من اعتقال المجرم الحقيقى . واعترفا

بدأ المعنى ينساب فى ذهنه رقيقا كقطرات ماء تساقط ببطء من مرشح . وأخذ الاضطراب والغموض والخوف واليأس ينزاح تدريجيا . فرفع يديه وشرع يتفحصهما فى تساؤل وعجب . ثم عادت سحابة من الشك تطوف بذهنه :

ـ هل أنت متأكد ؟

ـ اننا لا نقطع بشيء يا سيدى قبل أن نكون متأكدين تماما منه .

ـ لكن .. اذا كانت هاتان اليدان بريئتين .. فمن أين كانت تواتينى القوة ، ومن أين كان يجيئنى الحافز على القتل ؟

فالتقط هندرسون لفافة من شرائط الشمع مما تناثر على الارض واقتطع منها جزءا ثبته على الندبة فى يد أورلاك ، وكانت لا تزال تشخب دما . ثم تساءل ، لكن تساؤله كان مفعما بالمعانى :

ـ الا يمكن أن يكون هناك قوتان يا سيدى .. قوة نيرون ، فى عينيه المغناطيسيتين من جانب .. ثم قوة .. الخوف من جانب آخر ؟ !

وخرج المفتش من الغرفة فتبعه ، وعبرا الستار فى نهاية الممر الى قاعة الملهى الخالى . وتطلع أورلاك الى خشبة المسرح ، وقد انتشر فيها ضوء خافت . فابتدره المفتش ، وهو ينظر اليه مطمئنا .

ـ كل شيء مرتب يا سيدى .. سيكون عليك بالطبع أن تدلى بتصريحات .. ثم أن هناك محاكمة نيرون . لكن كل هذه الاشياء ستأتى فيما بعد . عد الآن الى منزلك يا مسيو أورلاك . انهم ينتظرونك هناك !

ينتظرونه ؟

عبرا الدرج الى مسكنه طويلا وهو يصعده . ولاحت فى حركاته حيرة ، كأنه غير موقن تماما من وجهته . وعندما فتحت لويز الباب أدرك أن الانباء قد سبقته . لم تكن تبتسم حقا ، لكن لاح فى وجهها هدوء ودعة لم يعهدهما منذ ذلك الحادث . وكان الدكتور كوشران يقف وراءها ، يحمل له كأسا قد صب فيها شيء من الشراب .

ـ لويز ... فرانسيس ...

قال ذلك بهدوء وهو يمد لهما يديه . فتناولت لويز كلتا يديه ورفعتهما اليها وضغطت عليهما بشفتيها . ومن ورائها لاح له موريس سيدلمان .

تقدم فى الغرفة . رأى مسكنه بوضوح هذه المرة .. لأول مرة . المدفئة الكهربية ، والمقاعد الوثيرة ، والاريكةذاتالوسائد. لكن الوسائد كانت قبيحة . أدرك أنها عارية من الاغطية .. وربما تكون لويز تصنع الآن أغطية جديدة .

ـ موريس ..

ـ يا صديقى العزيز . لقد جئت هنا يوم الخميس . ظننت أن من الاوفق ـ بسبب فشل ذلك الحفل ـ ان نعيد لهم تقديم بيتهوفن الذى افتقدوه !

ـ اسوناتا ؟

قال ذلك وهو يحرك يديه ، ثم فتح غطاء البيانو . وجرى باصابعه على مفاتيحه فى غير جهد . ثم بدأ يعزف ، وقد أغمض عينيه نصف اغماضة ، واخذ ينسجم تدريجيا فى جو بيتهوفن . وهو يدرك فى الوقت نفسه ـ وان كان ادراكا ضئيلا ـ وجود ثلاثة اشخاص حوله ، هم كل جمهوره فى ذلك الوقت .

وما لبث ان شعر بأن هذا الجمهور قد تحول الى شخص واحد .

وعندما فرغ من معزوفته ، وجدها قائمة بجواره . فرفع يديه عن مفاتيح البيانو ، واتجه بهما نحوها ، فضحكت :

ـ ان هذا يامسيو أورلاك .. فعل سيىء ، ذلك الذى توشك أن تأتيه !

ـ ربما ..

ووضع يديه حول عنقها ، ثم انحنى ليقبلها ؟ وهى تهمس اليه فى رقة :

ـ يستطيعان أن يأتيا كل فعل سيىء يريدان .. فلم اعد أخشاهما بعد الآن !

« تمت »



الدار القومية للطباعة والنشر

وزارة الثقافة والإرشاد القومى

الدار القومية للطباعة والنشر









تعمل على تحقيق الثورة الثقافية التى نادى بها الرئيس جمال عبد الناصر







القاهرة

مركز عالمى للإشعاع الثقافى
كتاب كل ست ساعات













مكتبات الدار

نيويورك لندن
الجزائر بيروت
طرابلس بغداد
الخرطوم الإسكندرية
القاهرة





